PJ
7814
R3A63

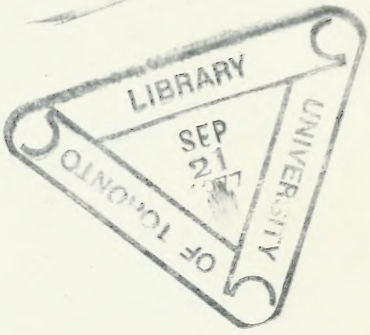
LIBRARY
SEP
UNIVERSITY
OF TORONTO

مَاذَا تُفِيدُ شُمُوسُ الرَّأْيِ طَالِعَـةً * وَمَجْدُ صَاحِبِهَا فِي النَّـاسِ مَوْءُودُ

لِذَاكَ أَنْفُسُ أَهْلِ الْجِـدِّ دَاخَلَهَا * فِي الْحَقِّ رَيْبٌ وَفِي الْأَهْوَاءِ تَشْرِيدُ

وَالْعُذْرُ لِلشِّعْرِ إِنْ ضَاعَتْ مَكَانَتُهُ * بَيْنَ الْبَرِيَّةِ حَيْثُ الْفَضْلُ مَجْحُودُ

فَلْيَسْكُتِ الشَّاعِرُ الْمَغْبُونُ فِي بَلَدٍ * إِنْ غَرَّدَ الطَّيْرُ لَمْ تُشْجِ الْأَغَارِيدُ

يَشْكُو إِلَى اللهِ مَا لَاقَاهُ مِنْ زَمَنٍ * وَمِنْ لَيَـالٍ تَقَضَّتْ وَهْوَ مَكْمُودُ

فِيهِ الْحَكِيمُ يُوَارِي عِلْمَهُ حَذَرًا * كَأَنَّهُ الْعَارُ يُخْشَى فَهْوَ مَصْـدُودُ

فَلْيُظْهِرِ الْفَضْلَ بَيْنَ النَّاسِ عَارِفُهُ * وَأَجْرُ ذٰلِكَ عِنْـدَ اللهِ مَرْصُـودُ

وَلْيَتْرُكِ النَّـاسَ مَهْمَا قَالَ قَائِلُهُمْ * فِيـــهِ وَآلَمَـــهُ لَوْمٌ وَتَنْـــدِيدُ

مَتَى تُسَاعِدُنِي الدُّنْيَا عَلَى غَرَضِي * فَيَسْتَتِمَّ بِنَشْرِ الْعِـلْمِ مَقْصُـودُ

لِتَخْلُصَ النَّفْسُ مِنْ شَرِّ الْحُقُودِ وَمِنْ * دَهْرٍ أَنَا فِيـــهِ مَقْهُورٌ وَمَكْدُودُ

فَإِنْ خَلَصْتُ فَهٰـذَا مَا أُؤَمِّلُهُ * وَإِنْ بُلِيتُ فَأَمْرُ اللهِ مَوْعُودُ

وَإِنْ تَكَاثَرَ حُسَّـادِي فَلَا عَجَبٌ * فَكُلُّ ذِي نِعْمَةٍ فِي النَّاسِ مَحْسُودُ

(م٠م/٢٧٣١/١٩١٣/٨٠٠٠)

وهـٰذِهِ جُمَلٌ مَمْلُوءَةٌ حِكَمًا * مِنْ دُونِ نَشْرِ شَذَاهَا النَّدُّ وَالْعُودُ
خَرَجْتُ فِيهَا عَنِ التَّعْقِيدِ مُعْتَقِدًا * أَنَّ السُّهُولَةَ فِيهَا الْخَيْرُ مَعْقُودُ
يُسَابِقُ الذِّهْنَ مَعْنَاهَا مُبَادَرَةً * كَأَنَّهُ قَبْلَ وَقْعِ اللَّفْظِ مَوْجُودُ
فِيهَا فُنُونٌ كَأَفْنَانِ الرُّبَا حَمَلَتْ * تِيجَانَ زَهْرٍ عَلَيْهَا الدُّرُّ مَنْضُودُ
تَشْفِي الْغَلِيلَ كَمَا تُحْيِي الْعَلِيلَ كَمَا * تُرَوِّحُ النَّفْسَ لَا دُفٌّ وَلَا عُودُ
عَلَى لِسَانِ وُحُوشِ الْقَفْرِ أَسْرُدُهَا * وَالصِّدْقُ فِي الْوَحْشِ دُونَ الْإِنْسِ مَعْهُودُ
هِيَ الْحَرِيَّةُ أَنْ تَحْدُو الْحُدَاةُ بِهَا * وَأَنْ تَسِيرَ بِهَا الْمَهْرِيَّةُ الْقُودُ
تَحْلُو كَمَاءِ ثِمَارِ الرَّوْضِ فِي ظَمَأٍ * أَوْ كَالرُّضَابِ إِذَا جَادَتْ بِهِ الْغِيدُ
أَمْثَالُ صِدْقٍ تَجَلَّتْ لَا مَثِيلَ لَهَا * مَعْنًى صَحِيحٌ وَلَفْظٌ فِيهِ تَجْوِيدُ
ضَمَّنْتُهَا النُّصْحَ وَالْأَغْرَاضُ شَاهِدَةٌ * وَفِي لِسَانِ الْفَتَى لِلْحَقِّ تَأْيِيدُ
أَطْلَقْتُهَا فِي الْوَرَى قَيْدًا رَبَطْتُ بِهَا * أَخْلَاقَهُمْ فَهْيَ إِطْلَاقٌ وَتَقْيِيدُ
إِنْ أَنْشَدَ الْبَيْتَ رَاوِيهِ عَلَى مَلَإٍ * فَلِلرِّوَايَةِ فِي الْآفَاقِ تَرْدِيدُ
عَرُوسُ فِكْرٍ حَوَتْ كُلَّ الْجَمَالِ وَلَمْ * أَقُلْ لِخُطَّابِهَا فِي مَهْرِهَا زِيدُوا
رَضِيتُ فِي مَهْرِهَا الْآلَامَ وَالسَّهَرَ * يُنْكِرُ الصُّنْعَ مِنِّي وَهْوَ مَوْدُودُ
مِنْ أَيْنَ تَصْلُحُ حَالُ النَّاسِ لَا أَمَلٌ * بِالْإِلْفِ بَلْ كُلُّهُمْ شَتَّى عَبَابِيدُ (١)
جَفَّتْ مَحَابِرُ أَهْلِ النُّطْقِ فِي زَمَنٍ * لِدَوْلَةِ الْعِيِّ فِي أَهْلِيهِ تَسْوِيدُ

(١) متفرقون

وَكَمْ قُلُوبٍ بَرَتْهَا أَعْيُنٌ عَرَضًا * مِنْ أَسْهُمٍ أَرْسَلَتْهَا الْكَاعِبُ الرُّودُ

لَا أَكْذِبُ اللهَ فِي قَوْمِي وَقَدْ خُلِقُوا * وَالْعَيْشُ فِي دِينِهِمْ كَأْسٌ وَتَغْرِيدُ

مَالِي أَعِفُّ جُهَّالًا خَبَرْتُهُمُ * سِيَّانِ عِنْدَهُمُ هَدْمٌ وَتَشْيِيدُ

طَارُوا مَعَ الْوَهْمِ وَالْأَيَّامُ مُدْبِرَةٌ * وَكُلُّ مَامَرَّ فِي الْأَيَّامِ مَفْقُودُ

خَلَائِقٌ كُلُّهَا ضَعْفٌ وَمَنْقَصَةٌ * فَلَا كَمَالٌ وَلَا فَضْلٌ وَلَا جُودُ

لَوْلَا التَّعَلُّلُ بِالْآمَالِ مَا ائْتَلَفَتْ * تِلْكَ النُّفُوسُ وَأَعْرَتْهَا الْمَوَاعِيدُ

كُلٌّ لَهُ غَايَةٌ فِي النَّاسِ يَنْشُدُهَا * بِسَعْيِهِ وَجَمِيلُ السَّعْيِ مَحْمُودُ

وَلَيْسَ يَسْعَدُ كَسْلَانٌ بِرَقْدَتِهِ * وَلَا نَبِيٌّ بِغَيْرِ الْجِدِّ مَعْدُودُ

مَافَارَقَ السَّعْيَ مُوسَى فِي نُبُوَّتِهِ * وَلَا تَوَانَى نَبِيُّ اللهِ دَاوُدُ

عَجِبْتُ مِنْ فِئَةٍ فِي الْجَهْلِ سَابِحَةٍ * تَبْغِي الْبَقَاءَ وَحَبْلُ الْجَهْلِ مَقْدُودُ

وَالنُّصْحُ مَهْمَا تَجِدْهُ لَا يُفِيدُ فَتًى * كَلَامُهُ فِي مَجَالِ الصِّدْقِ مَرْدُودُ

مَالِي أَرَى الْحَقَّ مُرْخَى الْحَبْلِ مِنْ وَهَنٍ * وَفِي يَدِ النَّاسِ حَبْلُ الزُّورِ مَشْدُودُ

إِذَا بَنَوْا بَيْتَ غِشٍّ أَحْكَمُوهُ وَإِنْ * بَنَوْا لَهُمْ بَيْتَ نُصْحٍ فَهُوَ مَهْدُودُ

لَئِنْ طَوَيْتُ بِسَاطَ الْقَوْلِ مِنْ حِكَمٍ * فَاعْذُرْ فَإِنَّ بِسَاطَ الْجَهْلِ مَمْدُودُ

يَكْفِي مِنَ الْوَعْظِ مَاقَدْ سَالَ مِنْ قَلَمِي * كَمَا كَفَى مِنْ ثِمَارِ الْكَرْمِ عُنْقُودُ

حَسْبُ اللَّبِيبِ الذَّكِيِّ الْقَلْبِ مَوْعِظَةٌ * بِالرَّمْزِ وَالْوَحْيِ لَا لَفْظٌ وَتَرْدِيدُ

وَذَا تَقِيٌّ نَقِيُّ الذَّيْلِ طَاهِـــرُهُ * وَلَيْـلُهُ كُلُّهُ وِرْدٌ وَتَهْجِيـــدُ
وَذَاكَ قَدْ دَوَّخَ الدُّنْيَـا بِقُدْرَتِهِ * فَلَا يُنَـازِلُهُ فِي الْحَرْبِ صِنْدِيدُ
وَذَا ضَعِيفٌ يَكَادُ الظَّنُّ يَقْتُـلُهُ * كَأَنَّهُ بِقُيُودِ الْوَهْمِ مَصْفُودُ
وَذَا يَتِيمٌ ذَلِيـــلٌ لَانَصِـيرَ لَهُ * وَقَلْبُـهُ مِنْ هُمُومِ الدَّهْرِ مَنْجُودُ
أَنْحَى الزَّمَانُ عَلَيْهِ وَهْوَ فَرْخٌ قَطًا * وَاهِي الْعَزِيمَةِ عِنْدَ الْخَطْبِ رِعْدِيدُ
إِذَا تَجَـلَّى هِلَالُ الْعِيـدِ قَالَ لَهُ * (عِيـدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتَ يَاعِيـدُ)
وَذَا فَقِـيرٌ وَلَا قَلْبٌ يَحِنُّ لَهُ * يَجُوبُ آفَاقَ بِيـدٍ بَعْدَهَا بِيـــدُ
يُقِيمُ فِي الْبُؤْسِ لَا عَوْنٌ وَلَا مَدَدٌ * الدَّهْرُ بُؤْسٌ لَهُ وَالْعُمْرُ تَنْكِيـدُ
وَذَاكَ فِي يُسْرَةٍ وَالدَّهْرُ خَادِعُهُ * يَبْنِي الْأَمَانِيَّ وَالْمَبْـنِيُّ مَهْـدُودُ
لَيْسَتْ حَيَاةُ الْفَتَى فِي جَمْعِ ثَرْوَتِهِ * فَإِنَّمَا جَمْعُهَا بِالشُّـحِّ تَبْـدِيدُ
إِنَّ الْحَيَـاةَ بِذِكْرٍ خَالِدٍ فَإِذَا * قَضَى الْفَتَى نَحْبَـهُ فَالذِّكْرُ تَخْلِيـدُ
وَذَاكَ قَدْ حَابَ الْأَيَّامَ أَشْطُرَهَا * فَلَا يُرَاوِغُهُ فِي دَهْرِهِ الصِّيـدُ
وَذَاكَ فَظٌّ غَلِيظُ الْقَلْبِ ذُوصَلَفٍ * كَأَنَّهُ بِجُمُـودِ الْوَجْهِ صَيْخُودُ[1]
وَذَا تَجَمَّعَ مِنْ لُطْفٍ وَمِنْ أَدَبٍ * وَرُبَّ خُلْقٍ لَهُ فِي الْخَلْقِ تَفْرِيـدُ
وَذَاكَ تُزْرِي بِبَـدْرِ التَّمِّ طَلْعَتُهُ * وَفِي مُحَيَّـاهُ إِشْرَاقٌ وَتَوْرِيدُ
وَذَا يَمِيـلُ إِلَى خَمْرٍ مُعَتَّقَـةٍ * وَذَاكَ قَدْ تَيَّمَتْهُ الْأَعْيُنُ السُّودُ

(١) صخـــر

وَذَاكَ مُغْرًى بِتَاجِ الْمُلْكِ يُحْرِزُهُ ... دُونَ الْأَنَامِ وَصَفْوُ الْمُلْكِ تَنْكِيدُ

مَالَذَّةُ الْمُلْكِ إِنْ دَارَ الزَّمَانُ بِهِ ... وَالْمُلْكُ كَالرِّزْقِ مَقْسُومٌ وَمَحْدُودُ

وَالدُّرُّ فِي الْبَحْرِ لَا يُدْرَى بِقِيمَتِهِ ... إِلَّا إِذَا ضَمَّهُ فِي عِقْدِهِ الْجِيدُ

وَالْخَلْقُ شَتَّى فَلَا عَتْبٌ وَلَا عَتَبٌ ... كُلٌّ لَهُ مَوْقِفٌ فِي الْأَرْضِ مَشْهُودُ

هٰذَا حَرِيصٌ وَلَيْسَ الْحِرْصُ يَنْفَعُهُ ... وَبَأْبُهُ فِي وُجُوهِ النَّاسِ مَوْصُودُ

يَعِيشُ يَجْمَعُ أَمْوَالًا وَيَتْرُكُهَا ... وَإِنَّمَا الْمَالُ لِلْأَخْلَافِ مَرْصُودُ

وَذَا جَوَادٌ أَطَافُوا فِي مَذَمَّتِهِ ... وَمَا رَأَيْنَا جَوَادًا عَابَهُ الْجُودُ

وَلِلسَّمَاحَةِ أَخْلَاقٌ مُهَذَّبَةٌ ... وَلِلْمَكَارِمِ أَبْطَالٌ مَاجِيدُ

إِنَّ الْكَرِيمَ لَيُخْفِي عَنْكَ عُسْرَتَهُ ... حَتَّى تَرَاهُ غَنِيًّا وَهْوَ مَجْهُودُ

بُثَّ النَّوَالَ وَلَا تَمْنَعْكَ قِلَّتُهُ ... فَكُلُّ مَاسَدَّ فَقْرًا فَهُوَ مَحْمُودُ

وَذَاكَ قَدْ ضَاعَ فِي الدُّنْيَا لِفِطْنَتِهِ ... وَهٰكَذَا بَحْرُ أَهْلِ الْفَضْلِ مَنْمُودُ (١)

وَذَا مَعَ الْجَهْلِ دَاءُ الْكِبْرِ قَاتِلُهُ ... لَاحِلْمَ فِيهِ وَلَا فِي الرَّأْيِ تَسْدِيدُ

يُمْسِي وَيُصْبِحُ لَاحَزْمٌ وَلَاغَرَضٌ ... لٰكِنَّهُ نَاعِمٌ بِالْعُمْرِ مَجْدُودُ

وَذَاكَ فِي قَلْبِهِ وَهْمٌ يُحَرِّكُهُ ... إِذَا رَأَى الْبَرْقَ قَالَ الْبَرْقُ تَهْدِيدُ

وَذَاكَ فِي نَفْسِهِ مِنْ دَهْرِهِ وَهَنٌ ... وَالدِّينُ فِي رَأْيِهِ لِلنَّاسِ تَقْيِيدُ

(١) قليل

الخاتمة

الْكَوْنُ دَلَّكَ أَنَّ اللهَ مَوْجُودُ * وَلَيْسَ لِلْخَلْقِ غَيْرَ اللهِ مَعْبُودُ

هُوَ الْقَدِيمُ وَكُلُّ النَّاسِ حَادِثَةٌ * وَلِلْخَلَائِقِ فِي الْأَجْيَالِ تَجْدِيدُ

يُعْطِي وَيَمْنَعُ وَالْأَقْدَارُ سَابِقَةٌ * فِي اللَّوْحِ وَالنَّاسُ مَنْكُودٌ وَمَسْعُودُ

يَا مَنْ طَوَيْتَ أَدِيمَ الْأَرْضِ مُلْتَمِسًا * مَالًا وَمَا أَنْتَ بِالْأَمْوَالِ مَوْعُودُ

قَدْ تُمْنَعُ الْأُسْدُ قَسْرًا عَنْ فَرِيسَتِهَا * وَفِي صُخُورِ الْفَيَافِي يُرْزَقُ الدُّودُ

لَا شَيْءَ أَعْجَبُ فِي الْأَيَّامِ مِنْ رَجُلٍ * يَرْجُو الْخَلَائِقَ وَالْخَلَّاقُ مَوْجُودُ

يَطْوِي الْفَتَى عُمْرَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ * كَأَنَّهُ بَعْدَ طُولِ الْعُمْرِ مَوْلُودُ

يَحَارُ مَنْ قَلَّبَ الدُّنْيَا بِنَاظِرِهِ * كَمَا يَحَارُ فَتًى تَاهَتْ بِهِ الْبِيدُ

مَالِي أَرَى النَّاسَ بِالْآمَالِ مُولَعَةً * وَمَا لَهُمْ فَوْقَ وَجْهِ الْأَرْضِ تَخْلِيدُ

هَذَا أَدِيبٌ رَمَاهُ الْبُؤْسُ فِي بَلَدٍ * لَا يَعْرِفُ الْفَضْلَ وَالْمِنْضَالُ مَنْكُودُ

ضَاقَتْ بِهِ الْأَرْضُ حَتَّى ضَلَّ مَذْهَبُهُ * وَقَلْبُهُ مِنْ هُمُومِ الدَّهْرِ مَفْؤُدُ (١)

يَمْشِي فَتَحْسَبُهُ مِنْ سُقْمِهِ شَبَحًا * مَرَّتْ عَلَيْهِ اللَّيَالِي وَهْوَ مَلْحُودُ

وَذَاكَ قَدْ خَبَرَ الدُّنْيَا بِحِكْمَتِهِ * فَلَيْسَ يُجْدِيهِ تَقْرِيبٌ وَتَبْعِيدُ

يَرَى الْحَيَاةَ بِعَيْنِ الْمُسْتَهِينِ بِهَا * وَالْكَوْنُ فِي عَيْنِهِ كَالظِّلِّ مَمْدُودُ

إِذَا بَدَا الصُّبْحُ لَا تُلْهِيهِ بَهْجَتُهُ * وَإِنْ دَجَا اللَّيْلُ لَا يُضْنِيهِ تَسْهِيدُ

(١) مريض بفؤاده

العظة التـاسعة والتسعون

(الحَمَامَةُ والعَقْعَقُ)(١)

حَمَـامَةٌ سَاكِنَةٌ فِي وَكْرِ ... بِقُرْبِ عَقْعَقٍ شَدِيدِ النُّكْرِ

بَدَّلَ صَفْوَ العَيْشِ مِنْهَا بِالْكَدَرْ ... وَسَاقَهَا إِلَى جِوَارِهِ القَدَرْ

يَابُؤْسَ مَنْ يُجَاوِرُ المَنْكُودَا ... وَسَعْدَ مَنْ يُجَاوِرُ المَسْعُودَا

فَكَانَ جَارُ السُّوءِ يُؤْذِي أَهْلَهْ ... وَيَخْلُقُ الذَّنْبَ بِغَيْرِ عِلَّهْ

وَكُلَّمَا أَذَاقَهَا صُنُوفَا ... مِنَ العَذَابِ زَادَهَا صُرُوفَا

فَتُظْهِرُ اللِّينَ لَهُ عِتَابَا ... وَلَا تَرَى مِنْ نَفْسِهِ صَوَابَا

وَتَشْرَحُ الشَّكْوَى لِتِلْكَ الجَارَهْ ... مِمَّا تَذُوقُهُ مِنَ المَرَارَهْ

تَقُولُ زَوْجِي كُلُّهُ عُيُوبُ ... وَكُلُّ مَا يَفْعَلُهُ ذُنُوبُ

لَا يَعْرِفُ الْفَضْلَ وَلَا ذَوِيهِ ... وَكُلُّ قُبْحٍ فِي الْوُجُودِ فِيهِ

فِي الصُّبْحِ لَا يُفَارِقُ العُقَارَا ... وَفِي الدُّجَى لَا يَتْرُكُ القِمَارَا

قَالَتْ لَهَا جَارَتُهَا الحَمَامَهْ ... خَلِّي الْعِتَابَ وَاتْرُكِي المَلَامَهْ

فَالْغَيْثُ لَا يَخْلُو مِنَ الْعُيُوبِ ... وَالْعَيْبُ فِي الشَّبَابِ وَالمَشِيبِ

أَيُّ امْرِئٍ مِنَ الْعُيُوبِ قَدْ خَلَا ... جَلَّ الَّذِي لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا

---

(١) طائر على قدر الحمامة وهو على شكل الغراب و يقال له القعقع أيضا والعرب تتشاءم به وتضرب به المثل فى السرقة والخيانة والخبث

العظة الثـامنة والتسعون

(العُصْفُورُ الحَبَشِيُّ وَالبُلْبُلُ)

عَصْفُورُ حِبْشَانٍ تَرَنَّمَ قَائِلاً * فِي الطَّيْرِ مَالِي فِي الغِنَاءِ مُمَاثِلُ
وَعَلَى البَلاَبِلِ جَرَّ ذَيْلَ فَخَارِهِ * قَوْلاً وَيَأْبَى الفَضْلُ مَا هُوَ قَائِلُ
فَأَتَى يُبَارِيهِ امْتِحَاناً بُلْبُلٌ * لِيُبِينَ أَيُّهُمَا الدَّعِيُّ الجَاهِلُ
وَإِلَى الطُّيُورِ تَقَاضَيَا فِي رَوْضَةٍ * طَلَباً لِحُكْمِ الحَقِّ وَهُوَ الفَاصِلُ
فَتَرَنَّمَ الحَبَشِيُّ يُبْدِي فَضْلَهُ * فَشَجَا ذَوِيهِ غِنَاؤُهُ المُتَوَاصِلُ
وَالبُلْبُلُ الغَرِيدُ صَاحَ كَأَنَّهُ * عُودُ المَسَرَّةِ حَرَّكَتْهُ أَنَامِلُ
فَتَشَبَّعَتْ أَذْهَانُ مَنْ سَمِعُوهُمَا * وَلِكُلِّ قَالٍ مِنْ هَوَاهُ شَاغِلُ
كُلٌّ لَهُ غَرَضٌ فَهَذَا عَاذِرٌ * فِي حُكْمِهِ الجَارِي وَهَذَا عَاذِلُ
شَهِدَ الغُرَابُ لِمِثْلِهِ لِسَوَادِهِ * وَكِلاَهُمَا مُتَجَانِسٌ مُتَشَاكِلُ
وَأَصَرَّ فِي هَذَا الضَّلاَلِ وَرَهْطُهُ * تَبَعاً يُؤَيِّدُ زَعْمَهُ وَيُنَاضِلُ
حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ الجِدَالُ بِغَيْرِ مَا * جَدْوَى وَكُلٌّ صَاخِبٌ وَمُجَادِلُ
رَدَّ الهِزَارُ عَلَى الدَّعِيِّ بِقَوْلِهِ * هَيْهَاتَ لَيْسَ الطَّائِلَ المُتَطَاوِلُ
لاَ خَيْرَ فِي أَغْصَانِ رَوْضٍ مُثْمِرٍ * إِنْ لَمْ تُغَرِّدْ فَوْقَهُنَّ بَلاَبِلُ
أَنَا مَنْ دَرَى أَهْلُ السَّمَاعِ تَفَوُّقِي * وَالحَقُّ لاَ يَعْلُو عَلَيْهِ البَاطِلُ
وَإِذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ * فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ

صَـنَائِعُ مُحْكَمَةُ الإِتْقَـانِ ... مِنْ عَمَلِ الفِكْرَةِ وَالبَنَـانِ
لَا يَطْمَعُ العَـالَمُ فِي الكَمَالِ ... إِلَّا بِجَمْعِ الشَّمْلِ فِي الأَعْمَالِ
وَقُـوَّةُ الأَعْمَـالِ بِاتِّحَـادِ ... وَالضَّعْفُ كُلُّهُ بِالانْفِـرَادِ
وَعُزْلَةُ الإِنْسَانِ لِلإِخْوَانِ ... مِنْ أَكْبَرِ الخُسْرَانِ وَالخِذْلَانِ
إِنْ قِيلَ فِيهَا رَاحَةُ الضَّمِيرِ * فَكَمْ بِهَا مِنْ ضَرَرٍ كَبِيرِ
فَبِالتَّعَـارُفِ ائْتِلَافٌ يَنْفَعُ * وَبِالتَّنَاكُرِ اخْتِلَافٌ يُوقِعُ
وَالقَصْدُ مِنْ حُرِّيَّةِ البِلَادِ ... تَوَفُّـرُ الرَّاحَةِ لِلْعِبَـادِ
بِبَيْتُ فِي الدَّارِ أَمِينَ الغَبْنِ * رَبُّ الغِنَى فِي رَاحَةٍ وَأَمْنِ
وَيَأْخُذُ الضَّعِيفُ كُلَّ حَقِّ * وَيُعْتِقُ القَوِيُّ عَبْدَ الرِّقِّ
لَا تَرْهَبُ السَّفِينُ قَطْعَ البَحْرِ * وَلَا يَخَافُ النَّاسُ سَيْرَ البَرِّ
وَيَنْبُغُ الكُتَّابُ فِي التَّحْرِيرِ * بِنَشْرِهِمْ مَذَاهِبَ الضَّمِيرِ
وَتُتْرَكُ الدَّعْوَةُ لِلْمَذَاهِبِ * لِكُلِّ غَادٍ دِينُـهُ وَذَاهِبِ
وَتُفْتَحُ الأَبْوَابُ لِلْمَدَارِسِ ... فِي وَجْهِ مُوسِرٍ وَوَجْهِ بَائِسِ
وَتَدْخُلُ الأَرْزَاقُ لِلتُّجَّارِ * مِنْ سَائِرِ الأَجْنَاسِ وَالأَقْطَارِ
هٰذِي هِيَ الحُرِّيَّةُ الصَّحِيحَهْ * وَهٰـذِهِ نِعْمَتُهَـا الرَّجِيحَهْ
يَتَمَتَّعُ الإِنْسَانُ فِي الحَيَـاةِ * بِحَقِّهِ مِنْ أَعْظَمِ الهِبَـاتِ

العظة السابعة والتسعون

(الحُـــرِّيَّة)

مَاوَهَبَ الرَّحْمٰنُ لِلْبَرِيَّهْ * أَفْضَلَ مِنْ مَوْهِبَةِ الْحُرِّيَّهْ

فَضِيلَةٌ رَفِيعَةُ الْمَكَانِ * وَأَكْبَرُ الصِّفَاتِ لِلإِنْسَانِ

سِرُّ النُّبُوغِ وَنَجَاحُ الأُمَمِ * سِرُّ الرُّقِيِّ وَعُلُوُّ الْهِمَمِ

سِرُّ النِّظَامِ سِرُّ فِعْلِ الْعَقْلِ * سِرُّ الْقَوَانِينِ وَسِرُّ الْعَدْلِ

مَجْدُ الْحُكُومَاتِ وَمَجْدُ الْوَطَنِ * مَعْنَى الْحَيَاةِ وَحَيَاةُ الْفَطِنِ

قَدْ قُيِّدَتْ لِنَظْمِ سَيْرِ الْمُلْكِ * بِكُلِّ قَانُونٍ دَقِيقِ السِّلْكِ

وَالرَّجُلُ الْحُرُّ بِأَصْغَرَيْهِ * يَعْرِفُ مَالَهُ وَمَا عَلَيْهِ

لَهُ الْقِيَامُ بِالَّذِي يَرَاهُ * مِنْ عَمَلٍ وَرَفْضِ مَا يَأْبَاهُ

وَالْمَرْءُ كُلُّ فِعْلِهِ بِطَبْعِهِ * يَظْهَرُ قَدْرُ عَقْلِهِ بِصُنْعِهِ

لَوْلَا وُجُودُ الْفَرْقِ فِي الرِّجَالِ * مَا عُرِفَتْ مَحَاسِنُ الْخِلَالِ

الْفَضْلُ كُلُّ الْفَضْلِ لِلْعُلُومِ * وَأَهْلُهُ الْمُدَاةُ كَالنُّجُومِ

بِهِ انْجَلَتْ حَقِيقَةُ الطَّبِيعَهْ * وَعُرِفَتْ مَنَاهِجُ الشَّرِيعَهْ

وَكَثُرَ الْعُمْرَانُ فِي الأَرْجَاءِ * وَامْتَدَّتِ الْفُنُونُ فِي الأَنْحَاءِ

وَظَهَرَتْ كَالشَّمْسِ فِي النَّهَارِ * حِكْمَةُ الاخْتِرَاعِ لِلأَبْصَارِ

فَإِنَّمَا الأَوْطَانُ بِالرِّجَالِ ٭ وَبِالرِّجَالِ قِيمَةُ الأَعْمَالِ
يَا طَالِبَ الرَّاحَةِ فِي الحَيَاةِ ٭ لَا رَاحَةٌ إِلَّا مَعَ المَمَاتِ
حَقِيقَةُ الحَيَاةِ لَيْسَتْ تُدْرَكُ ٭ إِلَّا لِمَنْ بِاللهِ لَيْسَ يُشْرِكُ
مُسْتَمْسِكٌ بِصِحَّةِ الإِيمَانِ ٭ مُسَلِّمٌ الأُمُورَ لِلرَّحْمٰنِ
يَعْرِفُ أَنَّ المَوْتَ مُنْتَهَاهُ ٭ وَيُؤْثِرُ الأُخْرَى عَلَى دُنْيَاهُ
التَّرْكُ لِلدُّنْيَا النَّجَاةُ مِنْهَا ٭ لَمْ تَرَ أَنْهَى لَكَ مِنْهَا عَنْهَا

العظة السادسة والتسعون

(الحَيَّةُ وَدُودَةُ الدَّمِ)

فِي سَالِفِ الدَّهْرِ قَالَتْ حَيَّةُ الوَادِي ٭ لِدُودَةٍ رِيُّهَا مِنْ مَصِّ أَجْسَادِ
كَيْفَ افْتَرَقْنَا وَأَصْلُ الخَلْقِ يَجْمَعُنَا ٭ بَيْنَ الخَلَائِقِ فِي قُرْبٍ وَإِبْعَادِ
هُمْ يَجْعَلُونَكِ فِي الأَبْدَانِ رَاتِعَةً ٭ وَيُورِدُونَكِ وِرْدَ النَّاعِمِ النَّادِي
أَمَّا أَنَا إِنْ رَأَوْنِي بَيْنَهُمْ نَفَرُوا ٭ كَنَفْرَةِ الشَّاةِ مِنْ أَظْفَارِ آسَادِ
سَقَوْكِ مِنْ دَمِهِمْ حَتَّى ارْتَوَيْتِ بِهِ ٭ حُبًّا وَفُزْتِ مِنَ الأَجْسَامِ بِالزَّادِ
قَالَتْ لَهَا إِنَّ رَشْفِي مُبْرِئٌ عِلَلًا ٭ لٰكِنَّ لَدْغَكِ لَدْغُ القَاتِلِ العَادِي
إِنْ كُنْتِ أَيْقَنْتِ أَنَّ الشَّكْلَ مُتَّحِدٌ ٭ فَفِي الفَعَائِلِ فَرْقٌ ظَاهِرٌ بَادِ
النَّاسُ أَخْلَاقُهُمْ شَتَّى وَإِنْ جُبِلُوا ٭ عَلَى تَشَابُهِ أَرْوَاحٍ وَأَجْسَادِ

وَلَمْ نَجِدْ فِيهِ رَخِيَّ البَـالِ * إِلَّا الَّذِي يَرْضَى بِدُونِ الحَالِ

لَيْسَ الغِنَى بِكَثْرَةِ الأَمْوَالِ * إِنَّ الغِنَى قَنَـاعَةُ الرِّجَالِ

قَدْ يَكْثُرُ المَالُ وَلٰكِنْ صَاحِبُهْ * تُفْقِرُهُ عَلَى الغِـنَى مَتَاعِبُهْ

وَالسُّقْمُ يُنْسِي فِتْنَةَ الأَمْوَالِ * وَالْحُبُّ لِلدُّنْيَا وَلِلْعِيَـالِ

وَالنَّاسُ فِي طَرِيقِهِمْ أَجْنَاسُ * أَغْلَبُهُمْ فِي فِعْلِهِمْ أَنْجَاسُ

تَلْتَمِسُ النَّاسُ إِلَى الكِفَايَهْ * وَحِرْصُهَا لَيْسَ لَهُ نِهَـايَهْ

فَطَالِحٌ فِي سَيْرِهِ وَصَالِحُ * كُلٌّ لَهُ فِي سَيْرِهِ صَوَالِحُ

يَضِيعُ مَنْ كَانَ قَلِيلَ الحِيلَهْ * وَلَوْ يَكُونُ سَـيِّدَ القَبِيلَهْ

لَيْسَتْ حَيَاةُ المَرْءِ بِالمَلَاهِي * فَخْرًا بِهَا يُعْجَبُ أَوْ يُبَاهِي

تَفْتِنُهُ الدُّنْيَا بِحُبِّ نَفْسِـهِ * حَتَّى يَبِيتَ ثَاوِيًا فِي رَمْسِهِ

وَمَنْ يَعِشْ لِنَفْسِهِ فِي أُمَّهْ * كَانَ بَلَاءً عَيْشُهُ وَغُمَّـهْ

وَأَنَّمَا الحُرُّ رَحِيبُ الصَّدْرِ * يَلْقَى صُرُوفَ دَهْرِهِ بِالصَّبْرِ

يُقَاوِمُ الأَقْبَـالَ وَالإِدْبَارَا * بِحِكْمَةٍ وَيَصْرِفُ الأَكْدَارَا

يَنْتَهِزُ الفُرْصَـةَ فِي الزَّمَانِ * فَيَجْتَنِي طُرْفَةَ كُلِّ آنِ

وَيَقْتَدِي أَوْطَانُهُ بِالعُمْـرِ * فَالنَّاسُ أَخْبَارٌ وَحُسْنُ ذِكْرِ

لَا شَيْءَ فِي الدُّنْيَا كَحُبِّ الوَطَنِ * وَلَا حَيَاةَ بَعْدَهُ فِي الزَّمَنِ

نَـــالَهُ غَـــيْرَ أَنَّهُ ... لَمْ يَعِشْ عَيْشَ رَاشِدِ
حَبَسَ المَالَ حَابِساً ... أَنَّهُ غَـــيْرُ بَائِـــدِ
حَيْثُ جَازَتْ مَبَرَّةٌ ... جَازَهَا لَمْ يُسَـاعِدِ
ظَلَّ فِي بُخْـلِهِ إِلَى ... أَنْ مَضَى غَيْرَ عَائِدِ
حَسِبَ العُمْرَ خَالِدًا ... لَيْسَ شَيْءٌ بِخَـالِدِ
مَاتَ عَنْ كُلِّ مَا اقْتَنَى ... مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدِ
وَبِهِ النَّاسُ مُتِّعَتْ ... مِنْ مُرِيبٍ وَصَائِدِ
أَنْعِـــمِي أَمَّ خَالِدٍ ... رُبَّ سَاعٍ لِقَـاعِدِ

العظة الخامسة والتسعون

(الحيـاة)

أَنَّ الحَيَاةَ نَصَبٌ يُنَاصَبُ ... نَلْعَبُ فِيهَا وَبِنَـا تَلَاعَبُ
أَثْمَارُهَا زَاهِيَـةٌ وَدَانِيَـهْ ... كَثِيرَةُ النَّعِيمِ لٰكِنْ فَانِيَـهْ
المَوْتُ فِيهَـا أَكْبَرُ الآفَاتِ ... لِكُلِّ مَاضٍ وَلِكُلِّ آتِ
فَهَوِّنِ الأَمْرَ تَعِشْ فِي الزَّمَنِ ... بِمَأْمَنٍ مِنْ طَارِئَاتِ المِحَنِ
فَمَا لَنَا فِي الدَّهْرِ مِنْ نَصِيبِ ... غَيْرَ الأَسَى وَالرُّزْءِ فِي الحَبِيبِ
يَأْخُذُ إِنْ حَسِبْتَ كُلَّ مَا وَهَبْ ... لَا رَاحَةٌ تَبْقَى بِهِ وَلَا تَعَبْ

أبدى له الجمل الصبور نصيحة * أن لا يكون مسيب الأكدار
لم يقبل النصح الحمار لجهله * والنصح لا يأباه غير حمار
فأتاه بتكرار النهيق مرددا * صداه من رم ومن قفار
فأتى كمبرق البرق ركب طالب * صيدا على الصهوات ولد ثور
فلقى الجمل غبيما فسلبها * وولت معه بعير حمار
فتصبر الجمل الحزين وقال إذ * لم يلق أصلا حيلة لفرار
إن القضاء محتم لا حول لي * فيه وهل رد القضاء الجاري
غيري حمى وأنا أقاسي حرمه * فالحكم حكم الواحد القهار
جانب خليط السوء تأمن شره * وابعد لتسلم صحبة الأغمار

العظة الرابعة والتسعون

(جامع المال)

جمع المال كادح * من جميع الموارد
وقضى عمره كده * في عناء المجاهد
من سنى رزقه * ودفاع الحاسد
بل بعد العوائق * وتمام المقاصد

أَنَّ الجَمِيلَ غَنِيٌّ مِنْ طَبِيعَتِهِ * بِحُسْنِهِ عَنْ جَمَالِ الحَلْيِ وَالحُلَلِ
قُولُوا لِمَنْ بَاتَ مَشْغُولًا بِزُخْرُفِهِ * لَيْسَ التَّكَحُّلُ فِي العَيْنَيْنِ كَالكَحَلِ

العظة الثالثة والتسعون

(الجَمَلُ وَالحِمَارُ)

الوَعْظُ فِي سَيَّارَةِ الأَشْعَارِ * أَهْدَى بِمَسْرَاهُ مِنَ الأَفْكَارِ
فَانْظِمْ حِكَايَاتِ الوَقَائِعِ دَائِمًا * مَرْوِيَّةً بِحَقَائِقِ الأَخْبَارِ
وَاشْرَحْ غَوَامِضَ مَا تُكِنُّ ضَمَائِرٌ * وَاكْشِفْ سِتَارَ مَوَاضِعِ الأَسْرَارِ
فِي مِصْرَ حَادِثَةٌ جَرَتْ مِنْ سَالِفٍ * سَارَتْ بِهَا الرُّكْبَانُ فِي الأَمْصَارِ
جَمَلٌ أَقَامَ مَعَ الحِمَارِ مُمَتَّعًا * فِي رَوْضَةٍ غَنَّاءَ ذَاتِ ثِمَارِ
عَاشَا مَعًا فِي صُحْبَةٍ وَمَوَدَّةٍ * فِي حَالَةِ الإِيسَارِ وَالإِعْسَارِ
لَمْ يَحْذَرَا كَيْدًا مِنَ الدُّنْيَا وَلَا * فِعْلَ الزَّمَانِ الخَائِنِ الغَدَّارِ
وَالدَّهْرُ يَفْتِنُ وَاللَّيَالِي قُلَّبٌ * وَالمَرْءُ بَيْنَ مَخَالِبِ الأَخْطَارِ
أَمَلٌ هِيَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا سِوَى * أَمَلٍ مَعَ الإِقْبَالِ وَالإِدْبَارِ
لَمَّا رَأَى ذَاكَ الحِمَارُ رِعَايَةً * مِنْ حَظِّهِ أَدْلَى بِذَيْلِ فَخَارِ
لَمْ تَصْلُحِ النُّعْمَى لَهُ وَلَطَالَمَا * فَسَدَتْ عَلَى المُتَكَبِّرِ الجَبَّارِ
رَامَ الَّذِي مُؤَمِّلًا بِنَهِيقِهِ * هٰذَا مُحَاكَاةَ الهِزَبْرِ الضَّارِي

العظة الثانية والتسعون

(الهِرَّانِ المُرَائِيَانِ)

قَدْ كَانَ هِرَّانِ فِي دَارٍ بِلَا ذَنَبٍ * لَمْ يُكْرَمَا حَيْثُمَا حَلَّا لَدَى رَجُلِ

عَاشَا مِنَ النَّقْصِ فِي هَمٍّ وَفِي نَكَدٍ * وَالنَّقْصُ مِنْ أَكْبَرِ الآفَاتِ وَالْعِلَلِ

وَكُلَّمَا نَظَرَا هِرًّا لَهُ ذَنَبٌ * فِي الدَّارِ يَخْتَالُ بَيْنَ اللَّمْسِ وَالْقُبَلِ

وَدَّا لَوَ انَّ لِكُلٍّ مِنْهُمَا ذَنَبًا * يَجُرُّهُ مُعْجَبًا فِي كُلِّ مُحْتَفَلِ

فَالهِرُّ لَيْسَ لَهُ عَيْشٌ بِلَا ذَنَبٍ * وَلَا يُمَتَّعُ فِي حِلٍّ وَمُرْتَحَلِ

فَفَكَّرَا أَنْ يَؤُمَّا دَارَ مُخْتَرِعٍ * وَلَا يُقِيمَا عَلَى ضَيْمٍ مِنَ الكَسَلِ

رَاحَا إِلَى مُتْقِنِ الأَذْنَابِ يَصْنَعُهَا * صُنْعَ الحَقِيقَةِ لَمْ تُحْسَبْ وَلَمْ تُخَلِ

فَنَاطَ فَوْرًا لِكُلٍّ مِنْهُمَا ذَنَبًا * يَحْكِي الأُصُولَ سَوِيًّا مُتْقَنَ العَمَلِ

وَبَعْدَ ذَلِكَ حَلَّا بَيْتَ مَكْرُمَةٍ * لَاقَاهُمَا صِبْيَةٌ فِيهِ عَلَى عَجَلِ

يُدَاعِبُونَهُمَا لَهْوًا وَتَسْلِيَةً * عَلَى الدَّوَامِ بِلَا رِفْقٍ وَلَا مَلَلِ

حَتَّى إِذَا جُوذِبَا ذَيْلَيْهِمَا انْخَلَعَا * وَبَاتَ كُلٌّ مِنَ الهِرَّيْنِ فِي خَجَلِ

يُلَازِمَانِ الأَسَى مِمَّا أَصَابَهُمَا * وَيَنْدُبَانِ لِمَا نَالَا مِنَ الفَشَلِ

تَكَلَّفَا سَتْرَ عَيْبٍ لَيْسَ تَسْتُرُهُ * عَنِ العُيُونِ ضُرُوبُ المَكْرِ وَالحِيَلِ

وَمَنْ يَكُنْ عَاطِلًا عَنْ حِلْيَةٍ خُلِقَتْ * فِيهِ فَمَا الغِشُّ مُحْلِيهِ لَدَى العُطَلِ

العظة التسعون

(الكَلْبُ والعَلَفُ والحِمَارُ)

قَدْ نَامَ فَوْقَ عَلَفِ الحِمَارِ ✻ كَلْبٌ مُنَابِذٌ مِنَ الأَشْرَارِ
وَكُلَّمَا رَامَ الحِمَارُ أَكْلَهْ ✻ قَامَ لَهُ الكَلْبُ فَعَضَّ رِجْلَهْ
حَتَّى غَدَا مِنْ جُوعِهِ هَزِيلَا ✻ يُوسِعُهُ صَاحِبُهُ تَنْكِيلَا
مَاذَا جَنَى الحِمَارُ فِي دُنْيَاهُ ✻ فَسُلِّطَ الكَلْبُ عَلَى أَذَاهُ
لَا زَادَ هَذَا نَافِعٌ لِهَذَا ✻ أَيْذَاؤُهُ وَظُلْمُهُ لِمَاذَا
قَدْ جُبِلَتْ طِبَاعُ بَعْضِ الخَلْقِ ✻ عَلَى أَذَى بَعْضٍ بِغَيْرِ حَقِّ
شَرُّ الوَرَى مَنْ لَيْسَ يَرْجَى خَيْرُهُ ✻ يَوْمًا وَيُرْجَى شَرُّهُ وَضَيْرُهُ

العظة الحادية والتسعون

(القَنَاعَةُ)

يَا جَامِعَ المَالِ فِي الدُّنْيَا أَمَا نَظَرَتْ ✻ عَيْنَاكَ دُنْيَاكَ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ
قَدْ حَمَّلَتْكَ اللَّيَالِي مِنْ شَدَائِدِهَا ✻ بِجَمْعِكَ المَالَ ذَنْبًا لَيْسَ يُغْتَفَرُ
هَوِّنْ عَلَيْكَ فَجَمْعُ المَالِ أَيْسَرُهَا ✻ يَسْعَى إِلَيْهِ أَخُو الدُّنْيَا وَيَقْتَدِرُ
المَالُ مَالُكَ أَنْ كُنْتَ اسْتَفَدْتَ بِهِ ✻ وَلَيْسَ مَالُكَ مَا يَبْقَى وَيَدَّخَرُ
تَعِيشُ فِي تَعَبِ الدُّنْيَا عَلَى أَمَلٍ ✻ وَكُلُّهَا عِبَرٌ هَيْهَاتَ تَعْتَبِرُ
العَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا قَنِعْتَ بِهِ ✻ قَدْ يَكْثُرُ المَالُ وَالإِنْسَانُ مُفْتَقِرُ

العظة التاسعة والثمانون

(مُحِبُّ الوَحْدَةِ)

عَاقِلٌ حَاوَلَ جَهْـدَهْ * أَنْ يَعِيشَ العُمْرَ وَحْدَهْ
عَاهَـدَ النَّفْسَ عَلَى أَنْ * تُثْبِتَ الأَيَّامُ عَهْـدَهْ
سَيِّئُ الحَظِّ وَلَكِنْ * فَضْـلُهُ شَـيَّدَ مَجْـدَهْ
بَحَثَا فِي كُلِّ فَنٍّ * قَادِحًا لِلْفِكْرِ زَنْدَهْ
عَالِمًا أَنَّ كَثِيرَ الـ ـصَّحْبِ لَا يُرْجَى لِشِدَّهْ
مَارَسَ الخَلْقَ فَزَادَتْ * تُرَّهَاتُ الخَلْقِ زُهْـدَهْ
بَلَغَ البُهْتَانُ عِنْدَ الـ ـنَّاسِ فِي التَّمْلِيقِ حَدَّهْ
كُلُّ مَنْ يَفْعَـلُ خَيْرًا * وَاجِدٌ فِي النَّاسِ ضِدَّهْ
فَرَأَى فِي البُعْـدِ عَنْهُمْ * مَغْنَمًا لَا غُنْمَ بَعْـدَهْ
أَنَّ فِي الوَحْدَةِ فَضْـلًا * لِفَتًى يَعْرِفُ قَصْـدَهْ
كُلُّ مَنْ عَاشَ فَرِيدًا * نَالَ فِي الأَيَّامِ سَعْدَهْ
وَحْدَةُ العَاقِلِ خَيْرٌ * مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ عِنْدَهْ

أجَابَهَا الكَلْبُ لَقَدْ شَكَوْتِ * بِالحَقِّ وَالجَمِيلُ أَنْ عَفَوْتِ
فَلْيَرْتَبِطْ بِالصَّبْرِ مَنْ ذِي حَالُهُ * حَسْبُ المُسِيءِ وَصْمَةُ فِعَالُهُ
كَمْ نَخْلَةٍ يَرْمُونَهَا بِحَجَرِ * ظُلْمًا فَتَرْمِي بِلَذِيذِ الثَّمَرِ

العظة الثامنة والثمانون

(المَلِكُ وَالمُلْكُ)

تَرَبَّعَ فِي عَرْشِ أَجْدَادِهِ * مَلِيكٌ تَرَبَّى كَرِيمَ الخِلَالِ
وَكَانَ المَلِيكُ الَّذِي قَبْلَهُ * كَثِيرَ الكَلَامِ قَلِيلَ الفِعَالِ
يُحِيطُ بِهِ زُمْرَةُ المُفْسِدِينَ * فَيَلْبَثُ مَا بَيْنَ قِيلٍ وَقَالِ
وَكَادَ يَزُولُ بِهِ مُلْكُهُ * وَمُلْكُ الضَّعِيفِ سَرِيعُ الزَّوَالِ
فَلَمَّا تَوَلَّى المَلِيكُ الَّذِي * تَلَاهُ وَأَدْرَكَ سِرَّ اللَّيَالِي
أَقَامَ يُدِيرُ شُؤُونَ البِلَادِ * وَبِالعَدْلِ يَبْلُغُ أَوْجَ المَعَالِي
وَقَرَّبَ أَهْلَ النُّهَى الرَّاشِدِينَ * وَأَقْصَى المُرَائِينَ أَهْلَ الضَّلَالِ
وَوَلَّى المَنَاصِبَ أَرْبَابَهَا * وَأَعْطَى القِسِيَّ رُمَاةَ النِّبَالِ
فَأَصْبَحَ مُلْكًا رَفِيعَ الذُّرَا * عَزِيزَ المَقَامِ عَدِيمَ المِثَالِ
وَأَضْحَى الرِّجَالُ عَلَى عَهْدِهِ * كِبَارَ النُّفُوسِ كِرَامَ الخِصَالِ
كَذَاكَ يُرَقِّي شُؤُونَ البِلَادِ * وَأَهْلَ البِلَادِ مُلُوكُ الكَمَالِ
فَشَرْطُ الفَلَاحَةِ غَرْسُ النَّبَاتِ * وَشَرْطُ الرِّيَاسَةِ غَرْسُ الرِّجَالِ

العظة السابعة والثمانون

(الكَلْبُ وَالنَّعْجَةُ)

النَّعْجَةُ اشْتَكَتْ لِكَلْبٍ مَرَّهْ * عِلْمًا بِأَنَّهُ أَمِينُ العِشْرَهْ
قَالَتْ لَهُ إِنِّي وَرَبِّي كُلَّمَا * نظرت فِي أَمْرِي ذبتُ أَلَمَا
إِذْ أَنَّنِي لِنَفْعِ قَوْمِي أَسْعَى * لَكِنَّهُمْ لَا يَحْمَدُونَ صُنْعَا
يُعَامِلُونَ أَسْوَأَ المُعَامَلَهْ * وَلَا يَرَوْنَ سُنَّةَ المُجَامَلَهْ
لِبَاسُهُمْ صُوفِي وَهٰذَا بَدَنِي * غِذَاؤُهُمْ وَشُرْبُهُمْ مِنْ لَبَنِي
وَمِنِّيَ السِّمَادُ لِلأَرَاضِي * يَحْيَا بِهِ النَّبَاتُ فِي الرِّيَاضِ
فَكَمْ تُقَاسِي مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ * خَطْبًا وَكُلُّنَا لِذَاكَ نَاسِ
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَذْبَحُونَ جُمْلَهْ * مِنَّا وَمَا غَيْرُ الغِذَاءِ عِلَّهْ
وَمِنْ عَجِيبٍ أَنْ يَنَالُوا الدَّرَّا * مِنَّا وَيَبْتَغُونَ فِينَا الضُّرَّا
وَحَظُّنَا فِي النَّاسِ حَظٌّ ضَائِعُ * وَإِنَّمَا دِينُهُمُ المَنَافِعُ
وَبَعْدَ هٰذَا كُلِّهِ نُكَلَّفُ * شُكْرَانَهُمْ إِلَى مَتَى لَا نُنْصَفُ
وَأَنْتَ يَا عَبْدَ بَنِي الإِنْسَانِ * يَا خَاضِعًا لَهُمْ مَدَى الزَّمَانِ
يَجْزُونَكَ القَتْلَ عَلَى اجْتِهَادِكْ * وَيُنْزِلُونَ السَّبَّ فِي أَجْدَادِكْ
رَضِيتَ بِالذُّلِّ وَبِالهَجَاجِ * وَصِرْتَ كَالنَّعْجَةِ فِي النِّعَاجِ

قَالَ الضَّعِيفُ الجَبَانُ مِنْهُمْ ... لَا تَسْمَعَا نُصْحَهُ غُرُورُ
وَقَالَ شَهْمُ الفُؤَادِ مِنْهُمْ ... بِالحَزْمِ قَدْ يَسْهُلُ العُبُورُ
وَرَاحَ وَسْطَ الغَدِيرِ يَجْرِي * وَلَا وُقُوفٌ وَلَا عُثُورُ
وَظَلَّ فِي الشَّطِّ صَاحِبَاهُ * مَا مِنْهُمَا وَاحِدٌ يَسِيرُ
فَقَالَ هَيَّا إِلَيَّ خُوضَا * فَالخَوْضُ فِي مِثْلِهِ يَسِيرُ
إِنْ نَجُبْنَا عِشْتُمَا بِضَيمٍ * وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الجَسُورُ

العظة السادسة والثمانون

(المغترُّ بالناس)

فَتًى شَاقَهُ أُنْسُ الأَنَامِ مِنَ الصِّبَا * فَظَنَّ بِهِمْ خَيْرًا وَذَاكَ غُرُورُ
يُبَالِغُ فِي إِكْرَامِهِمْ مُتَلَطِّفًا * إِذَا صَادَفُوهُ فِي الطَّرِيقِ يَسِيرُ
يُقَابِلُ بِالتَّرْحَابِ أَيَّامَهُ التُّقَى * سَرَاءٌ خَفِيرٌ عِنْدَهُ وَأَمِيرُ
إِلَى أَنْ دَهَتْهُ عُسْرَةٌ بَعْدَ يُسْرَةٍ * فَلَمْ يَكُ مِعْوَانٌ لَهُ وَنَصِيرُ
فَأَصْبَحَ مِمَّا نَالَهُ وَفُؤَادُهُ * عَلِيمٌ بِأَحْوَالِ الرِّجَالِ خَبِيرُ
يَقُولُ أَلَا إِنَّ الوِدَادَ تِجَارَةٌ * إِذَا لَمْ يُؤَيِّدْهَا السَّخَاءُ تَبُورُ
لَئِنْ كَانَ مَنْ قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمُ * يُعَدُّ صَدِيقًا فَالصَّدِيقُ كَثِيرُ

فَأَمَّا مُدِينُـــوهُ فَفَـازُوا بِمَـالِهِ * وَلَمْ يَكُ مِنْهُـــمْ وَاحِدٌ لِيُـؤَمِّنَـا
وَأَمَّا الَّذِى أَبْقَـاهُ مِنْـهُ خَبِيئَةً * فَأَدْرَكَهُ لِصٌّ وَعَفَّـاهُ مَـوْهِنَـا
فَبَـاتَ بِلَا مَالٍ وَغَالَ حَرَامُـــهُ * مُحَلَّلَهُ وَٱعْتَاضَ بُؤْسًـا مِنَ الْمُنَى
بُلُوغُ الْمُـنَى أَلَّا تُكَاثِرَ بِالْمُـنَى * وَنَيْـلُ الْغِنَى أَلَّا تُفَـكِّرَ فِى الْغِنَى
وَمَنْ كَانَ لِلدُّنْيَـا أَشَـدَّ تَصَوُّنًا * تَجِدْهُ عَنِ الدُّنْيَـا أَشَـدَّ تَصَوُّنَا

العظة الخامسة والثمانون

(البُـــؤَسَاءُ)

ثَـلَاثَةٌ مَالَهُـمْ نَصِـيرُ * وَلَا مُحِبٌّ وَلَا مُجِـيرُ
ثَـلَاثَةٌ حَازِمٌ جَرِىءٌ * وَذُو ٱحْتِيَـالٍ وَمُسْتَطِيرُ
كَأَنَّهُـمْ فِى الْوُجُودِ وَهْمٌ * فَلَا مَمَـاتٌ وَلَا نُشُـورُ
إِذَا دَجَا اللَّيْلُ سَامَرَتْهُمْ * دُمُوعُهُمْ وَالْبُكَا سَمِـيرُ
وَإِنْ بَدَا الصُّبْحُ طَالَعَتْهُمْ * حَـوَادِثٌ كُلُّهَا نَكِـيرُ
فَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَقَالُوا * فِى الْهَجْرِ خَيْرٌ لَنَـا كَثِيرُ
وَبَعْـدَ هٰذَا رَأَوْا غَدِيرًا * يَكَادُ مِنْ مَوْجِهِ يَثُورُ
مَدَّ إِلَيْهِ الضَّعِيفُ رِجْلًا * إِذَا بِهِ مَـاؤُهُ غَـزِيرُ
فَقَـالَ أَبْنِى عَلَيْهِ جِسْرًا * يَسْهُلُ مِنْ فَوْقِهِ الْمُرُورُ

أنا الصديقُ أفتدى صديقي * أنَّ الذي ينفعُ وقتَ الضيقِ
إنَّ عريقَ الأصلِ في الإخوانِ * يُقابلُ الإحسانَ بالإحسانِ
فلا تخفْ من جائرٍ أو مالكِ * فأنتَ في حرزٍ من المهالكِ
مطالبُ الخيرِ جميعًا سهلهْ * وخيرُ ما تطلبُ إلا أهلهْ
هيا بنا نسبحُ فوقَ الزاخرِ * ونتركُ الأرضَ لذاكَ الجائرِ
وهذهِ سفينةُ النجاةِ * نركبُها في فرصةِ الأوقاتِ
حتى نوافي ساحلَ السلامهْ * ونغنمَ الراحةَ والكرامهْ
فقالَ إني خائفٌ من الأذى * عليكَ منهُ فأجابَ حبذا
إنَّ أخاكَ الصدقَ من يسعى معكْ * ومنْ يضرُّ نفسهُ لينفعكْ

العظة الرابعة والثمانون

(حُبُّ المَالِ)

منَ الريفِ فلاحٌ تطلَّعَ للغنى * وباتَ لهُ حبُّ المكاسبِ ديدنا
وكانَ لهُ طينٌ خصيبٌ فرامَ أنْ * يزيدَ بهِ أرباحهُ متفننا
فقالَ أرى كلَّ المكاسبِ في الربا * به يتسنى وافرُ الرزقِ هينا
فأوقرَ بالرهنِ المقسَّطِ أرضهُ * وأقرضَ بعضَ المالِ بالكسبِ موقنا
وأخفى الذي أبقاهُ في الدارِ راجيًا * مزيدَ مرابٍ إنْ تمكنا

العظة الثـالثـــة والثمانون

(الأَرْنَبُ وَطَيْرُ الشُّرْشُورِ)[1]

صَاحَبَ يَوْمًا أَرْنَبٌ شُرْشُورَا * لَمْ يَـلْـقَ خَدَّاعًا وَلَا شِـرِّيرَا
وَعَاشَ كُلٌّ عِيشَةَ الْإِخَاءِ * فِي شِـدَّةِ الْأَيَّامِ وَالـرَّخَاءِ
يَجْتَمِعَانِ فِي الدُّجَى وَالفَجْرِ * ذٰلِكَ فِي الْعُشِّ وَذَا فِي الْجُحْرِ
فَأَبْطَأَ الشُّرْشُورُ ذَاتَ مَرَّهْ * وَمَا دَرَى صَاحِبُـهُ مَقَـرَّهْ
فَرَاحَ عَنْـهُ بَاحِثًا فِي الـوَادِي * يَسْـأَلُ كُـلَّ رَائِحٍ وَغَادِ
حَـتَّى رَآهُ بِسَـرَايِ الْمَلِكِ * فِي قَفَصٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ مَسْـلَكِ
فَأَعْمَلَ الْحِيلَةَ فِي قَرْضِ الْقَفَصْ * وَفَتَحَ الْبَـابَ لَهُ حَتَّى خَلَصْ
وَانْطَلَقَـا كَـالرِّيحِ يَجْرِيَانِ * مَخَافَةً مِنْ صَـوْلَةِ السُّلْطَانِ
لَمَّـا دَرَى الْمَلِيـكُ بِالْأَمْرِ صَخِبْ * وَقَالَ هٰـذِي قَتْلُهَا حَقًّـا يَجِبْ
فَقَـامَتِ الشُّرْطَةُ فِي الْأَرَانِبِ * تَقْتُلُهَـا فِي الشَّرْقِ وَالْمَغَـارِبِ
وَالْأَرْنَبُ الْمُذْنِبُ أَمْسَى يَرْتَجِفْ * لِأَنَّهُ بِمَا جَنَـاهُ مُعْـتَرِفْ
ثُمَّ أَتَى يَسْـتَنْجِدُ الشُّرْشُـورَا * مِنْ شَرِّ يَوْمٍ كَانَ مُسْـتَطِيرَا
فَقَالَ نَمْ وَلَا تَخَفْ مِنَ الْمِحَـنْ * لِمَـا بِهِ طَوَّقَنِـي مِنَ الْمِنَنْ

(١) طائر يسمى الرقش جمعه شراشير ومفرده شرشور كعصفور

إِنَّ قَلْبِي يَرَى الفَضَاءَ مَضِيقًا * وَرَحِيبًا تَرَى الفَضَاءَ عُيُونِي
غُرَّ غَيْرِي يَادَهْرُ فَالمَوْتُ حَتْمٌ * فَإِذَا جَاءَ مَوْعِدِي قَبِّرُونِي
لَا فِرَارًا مِنَ المَنُونِ وَلَا رَا * حَةَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ هٰذِي المَنُونِ
لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ خُلِقْتُ وَلَا كُنْـ * ـتُ عَرَفْتُ الوَرَى وَلَا عَرَفُونِي
رَبِّ أَنْتَ العَلِيمُ مَالِيَ ذَنْبٌ * بِشَقَاءِ الحَيَاةِ قَدْ ظَلَمُونِي

العظة الثانية والثمانون

(الجَاهِلُ المُثْرِي)

يَضَعُ النُّقُودَ الجَاهِلُ المُثْرِي * فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا وَلَا يَدْرِي
فَيَضِنُّ فِي الحَاجَاتِ عَنْ سَعَةٍ * وَيَفِيضُ لِلغَايَاتِ عَنْ بَحْرِ
هٰذَا هُوَ المَغْرُورُ تُبْصِرُهُ * خَلْفَ الغُرُورِ مُؤَمِّلًا يَجْرِي
يَهْوَى مِنَ الدُّنْيَا الظُّهُورَ بِهَا * فَيَزِيدُ فِي التَّبْذِيرِ لِلفَخْرِ
وَالجُودُ لَيْسَ بِنَافِعٍ أَبَدًا * إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَوْرِدِ البِرِّ
شَرُّ المَوَاهِبِ مَا تَجُودُ بِهِ * فِي غَيْرِ مَحْمَدَةٍ وَلَا أَجْرِ

وَعِنْـدَ ذَاكَ قَالَتِ لِأُوزَدْ * ضَلَلْتُمَا عَمَّنْ لَهُ المَعَـزَّهْ
فَأَيْنَ أَنْتُمَا مِنَ زُومَانِ * ذَوِي العُـلَا وَالعِزِّ وَالعِرْفَانِ
فَكَمْ لَهُمْ مِنْ جَوْلَةٍ وَصَـوْلَهْ * ذَلَّتْ لَهَا فِي الأَرْضِ كُلُّ دَوْلَهْ
وَصَـارَ كُلٌّ جَازِمًا بِفِكْرِهِ * وَمُسْتَبِدًّا بَيْنَهُـمْ بِأَمْرِهِ
وَكَانَ فَارٌ يَسْمَعُ الجِدَالَا * مِنْ دَاخِلِ الجُحْرِ فَهَبَّ حَالَا
وَقَالَ يَاقَوْمُ اسْمَعُوا لِي فِكْرَا * لَا أَبْتَغِي مِنْكُمْ عَلَيْـهِ أَجْرَا
لِوَجْهِ النَّاسُ عَلَى الإِنْصَافِ * لَمْ تَرَ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ خِلَافِ
فَكُلُّكُمْ أَجَلُّ مَنْ أَجَلَّهْ * وَلَيْسَ حُبُّ خَالِيًا مِنْ عِلَّهْ

العظة الحادية والثمانون

(شكاة الدهر)

مَا لِآبَائِنَا وَمَا لِبَنِيـنَا * فِي أَمَانٍ مِنَ الزَّمَانِ الخَؤُونِ
خَلَفَتْهُـمْ آبَاؤُهُمْ لِحَيَاةٍ * كُلُّهَا شِـقْوَةٌ كَمَا خَلَّفُونِي
تَرَكَتْهُمْ نَوَائِبُ الدَّهْرِ صَرْعَى * وَسَرِيعًا لِحُكْمِهَا تَرْكَبُونِي
حَمَّلَتْهُـمْ مَالَا يُطِيقُونَ مِنْهَا * وَهُمُ مِنْ هُمُـومِهَا حَمَّلُونِي
أَنَّ دَهْرًا مِنْـهُ الشِّكَايَةُ لَوْ أَنْـ * ـصَفَ أَهْلِي يَوْمًا بِهِ أَنْصَفُونِي
مَا لِهٰذِي الحَيَاةِ طِيبٌ وَهَلْ غَيْـ * ـرُ أَمَانٍ بِطِيبِهَا عَلَّلُونِي

فَأَتَاهُ اللُّصُوصُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ ... وَأَذَاقُوهُ مِنْ كُؤُوسِ العَذَابِ
سَلَبُوهُ مَا كَانَ مَعَهُ وَلَمْ يَرْ ... جِعْ بِغَيْرِ الأَسَى وَغَيْرِ الإِهَابِ
ثُمَّ لَمَّا اسْتَفَاقَ أَنْشَدَ بَيْتًا ... هُوَ عِنْدَ الخُطُوبِ فَصْلُ الخِطَابِ
إِعْرِفِ النَّاسَ فِي رَخَائِكَ تَعْرِفْـ ... ـكَ لَدَى شِدَّةٍ وَيَوْمِ مُصَابِ

العظة الثمانون

(البُومَةُ وَالحِرُّ وَالإِوَزَّةُ وَالفَأْرُ)

بَعْضُ التَّلَامِيذِ أَتَى بِبُومَهْ * مِنْ عُشِّهَا يَنْفِي بِهَا هُمُومَهْ
وَقَدْ تَرَبَّتْ فِي رِحَابِ المَدْرَسَهْ ... وَبِالتَّلَامِيذِ غَدَتْ مُسْتَأْنِسَهْ
فَصَاحَبَتْ إِوَزَّةً وَهِرَّا ... وَعِشْنَ فِي وُدٍّ حَمِيمٍ دَهْرَا
كُنَّ ذَوَاتِ أَدَبٍ وَفَهْمِ ... يَسْمَعْنَ كَالطُّلَّابِ دَرْسَ العِلْمِ
حَتَّى عَرَفْنَ ظَاهِرَ الشَّرِيعَهْ ... كَمَا عَرَفْنَ بَاطِنَ الطَّبِيعَهْ
فَاجْتَمَعَتْ يَوْمًا مِنَ الأَيَّامِ ... وَبَحَثَتْ فِي عِبَرِ الأَنَامِ
تُقَلِّبُ القَدِيمَ وَالحَدِيثَا ... مُكْثِرَةً فِي الأُمَمِ الحَدِيثَا
فَابْتَدَأَ المَقَالَ فِيهَا الحِرُّ ... وَقَالَ حَازَتْ كُلَّ فَخْرٍ مِصْرُ
فَقَالَتِ البُومَةُ لِلْيُونَانِ ... مَجْدٌ سَمَا مِنْ سَالِفِ الزَّمَانِ
كَمْ ظَهَرَتْ فِي عَالَمِ الوُجُودِ * آثَارُهُمْ فِي المَوْقِفِ المَشْهُودِ

فَاحْتَرَقَ الْحُزْنُ وَطَارَ الطَّيْرُ * وَلَمْ يُصِبْ غَيْرَ الْحُبُوبِ الضَّيْرُ
جَاءَهُ مَوْلَاهُ قَالَ مَالِي * أَضَعْتَهُ يَا أَجْهَلَ الْجُهَّالِ
ظَنَنْتُكَ الْمُصِيبَ لَا الْمُصَابَا * فِي عَقْلِهِ وَالظَّنُّ فِيكَ خَابَا
حَقِيقَةٌ كَمْ مِنْ عَدُوٍّ عَاقِلٍ * فِي النَّاسِ خَيْرٌ مِنْ صَدِيقٍ جَاهِلِ

العظة التاسعة والسبعون

(السائحان)

جَازَ إِلْفَانِ مُوسِرٌ وَفَقِيرٌ * فَدْفَدًا يَأْنَسَانِ بِالْاِصْطِحَابِ
فَرَأَى أَسْعَدُ الرَّفِيقَيْنِ كِيسًا * فِي مَكَانٍ مُخَبَّأٍ بِالتُّرَابِ
فَجَرَى مُسْرِعًا إِلَيْهِ وَوَارَا * هُ بِحِذْقٍ وَلَمْ يَفُهْ بِخِطَابِ
قَالَ ثَانِيهِمَا لِيَ النِّصْفُ مِنْهُ * قِسْمَةَ الصَّادِقِينَ وَالْأَحْبَابِ
قَالَ مَنْ حَازَهُ مِنَ الْأَرْضِ كَلَّا * هُوَ رِزْقِي وَأَنْتَ تَبْغِي اغْتِصَابِي
وَإِذَا بِاللُّصُوصِ جَاءَتْ وَكَانَتْ * قَدْ تَوَارَتْ مِنْ قَبْلِ ذَاكَ بِغَابِ
قَالَ مَنْ عِنْدَهُ النُّقُودُ وَقَفْنَا * مَوْقِفَ الشَّاةِ مِنْ نِيَابِ الذِّئَابِ
فَأَجَابَ الرَّفِيقُ إِنِّي بَرِيءٌ * وَسَلِيمٌ مِنْ مَسِّ ذَاكَ الْمُصَابِ
وَأَنَا عَنْكَ ذَاهِبٌ وَمُوَلٍّ * وَلَكَ الْوَيْلُ بَعْدَ هٰذَا الذَّهَابِ
ثُمَّ وَلَّى عَنْهُ لِيَعْرِفَ ذَاكَ الصَّـ * ـاحِبُ الْمُسْتَبِدُّ قَدْرَ الصِّحَابِ

فَلَمْ يَقْضِ أَمْرًا وَضَاعَتْ بِهِ * وَصَايَا أَبِيـــهِ عَلَى حِرْصِهِ
إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلًا * فَأَرْسِلْ حَكِيمًا وَلَا تُوصِهِ
وَإِنْ بَابُ أَمْرٍ عَلَيْكَ الْتَوَى * فَشَاوِرْ عَلِيمًا وَلَا تَعْصِـــهِ

العظة الثامنة والسبعون

(الخادم ومولاه)

كَانَ لِمُثْرٍ خَادِمٌ أَمِينُ * يَصْدُقُ فِي الْخِدْمَةِ لَا يَمِينُ
أَقَامَهُ تَامًّا عَلَى الْحَصَادِ * وَكِيلَهُ لِدَفْعِ كُلِّ عَادِ
وَدَارَتِ النَّوَارِجُ الْكَبِيرَهْ * عَلَى جِبَالِ السُّنْبُلِ الْكَثِيرَهْ
فَكَانَ فِي نَهَارِهِ مُدِيرَهَا * وَفِي ظَلَامِ لَيْلِهِ خَفِيرَهَا
يَذُودُ عَنْهَا النَّاسَ وَالطُّيُورَا * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَا
فَجَاءَهُ الْعُصْفُورُ سِرْبًا سِرْبَا * يَلْقُطُ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ حَبَّا
وَكُلَّمَا شَـــرَدَهُ عَادَ لَهُ * كَأَنَّهُ فِي حَرْبِهِ عَادَلَهُ
فَضَاقَ مِنْهَا صَدْرُهُ وَحَارَا * وَمِنْ تَوَالِي فِعْلِهَا اسْتَجَارَا
فَقَالَ مِثْلِي لَيْسَ مِمَّنْ يُقْهَرُ * وَحِيلَتِي تَعْـدَادُهَا لَا يُحْصَرُ
أُوقِدُ فِي هَذِي الْغِلَالِ لَهَبَا * وَهِيَ الَّتِي تُلْزِمُهُنَّ الْأَدَبَا
فَأَضْرَمَ النَّارَ كَمَا أَشَارَا * حَتَّى عَلَتْ وَأَرْسَلَتْ شَرَارَا

العظة السادسة والسبعون

(الصيَّادُ والعُصْفُورُ)

كَانَتْ عَصَافِيرٌ بِرَوْضٍ زَاهِرٍ ۞ تَرْتَعُ فِي صَفْوٍ وَعَيْشٍ نَاضِرِ
وَكَانَ صَيَّادٌ لَهَا فِي مَرْقَبِ ۞ يَعُدُّ صَيْدَهَا أَعَزَّ مَطْلَبِ
لٰكِنَّهُ إِذْ عَدَا عَلَيْهَا ۞ طَارَتْ وَخَابَ سَعْيُهُ إِلَيْهَا
فَنَزَلَ وَٱخْتَفَى خِلَالَ الْعُشْبِ ۞ وَمَدَّ كَفَّهُ بِبَعْضِ الْحَبِّ
فَجَاءَ عُصْفُورٌ قَلِيلُ الْفَهْمِ ۞ لَيْسَ لَهُ بِمَكْرِهِ مِنْ عِلْمِ
فَحَطَّ فَوْقَهَا وَعِنْدَمَا وَقَفْ ۞ أَدْرَكَهُ الْمُحَالُ حَالًا وَٱلْتَقَفْ
وَقَالَ عُصْفُورٌ رَأَى الْعُصْفُورَا ۞ إِنِّيَ مِن وَكْرِيَ لَنْ أَطِيرَا
وَظَنَّ كُلَّ حَبَّةٍ هِيَ الشَّرَكْ ۞ فَصَابَرَ الْجُوعَ إِلَى حِينِ هَلَكْ
فَصَحَّ فِيهِ أَنَّهُ مِنَ الْفَزَعْ ۞ فَرَّ مِنَ الْمَوْتِ وَفِي الْمَوْتِ وَقَعْ

العظة السابعة والسبعون

(الوَالِدُ وَوَلَدُهُ)

عَجُوزٌ لَهُ وَلَدٌ لَمْ يَكُنْ ۞ شَبِيهًا لَهُ بِسِوَى شَخْصِهِ
بَعِيدُ الْفُؤَادِ ضَعِيفُ الْحِجَا ۞ تَدُلُّ الْفِعَالُ عَلَى نَقْصِهِ
فَأَوْفَدَهُ فِي شُؤُونٍ لَهُ ۞ وَعَرَّفَهُ الْحُكْمَ مِنْ نَصِّهِ

جُهْدُ البَلاءِ صُحْبَةُ الأضْدَادِ * فَإنَّهَا كَـيٌّ عَلَى الفُـؤَادِ
أنِّي فَعَلْتُ كُلَّ مَا فِي وُسْعِي - لأُرْضِيَ النَّاسَ فَخَابَ صُنْعِي
مَهْمَا يَكُ الإنْسَانُ رَبَّ حَقِّ - فَغَيْرُ مُرْضٍ لِجَمِيعِ الخَلْقِ

العظة الخامسة والسبعون

(العُمْدَةُ والمُضَارِبُ)

مِنَ الرِّيفِ فِي أحْدَى المَدَائِنِ عُمْدَةٌ - تَظَاهَرَ بَيْنَ النَّاسِ بِالكَسْبِ والغُنْمِ
فَصَارَ يَبِيعُ الطِّينَ آنًا وَيَشْتَرِي * سِوَاهُ بِلَا رَأْيٍ سَدِيدٍ وَلَا فَهْمِ
يُسَدِّدُ مِنْ هَذَا لِهَذَا دُيُونَهُ - بِغَيْرِ تَرَوٍّ فِي الحِسَابِ وَلَا عِلْمِ
إلَى أنْ مَضَى عَامٌ وَأقْبَلَ غَيْرُهُ * وَزَادَ عَلَيْهِ الدَّيْنُ مِنْ قِلَّةِ الحَزْمِ
فَمَا قَامَ بِالدَّيْنِ الَّذِي حَلَّ قِسْطُهُ - وَبَاعَ جَمِيعَ الطِّينِ فِي الحَالِ بِالرَّغْمِ
فَمَا نَالَ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ جُدُودُهُ * وَمَا زَادَ إلَّا النَّقْصَ فِي الجَاهِ وَالِاسْمِ
وَأيْقَنَ أنَّ الدَّهْرَ يَهْدِمُ صَرْفُهُ * بِنَاءً لِمَنْ يَغْتَرُّ فِي الدَّهْرِ بِالوَهْمِ
وَإنَّ وَفَاءَ الدَّيْنِ بِالدَّيْنِ لَمْ يَكُنْ - وَفَاءً وَلَكِنْ كَانَ غُرْمًا عَلَى غُرْمِ

فَاسْتَرْجَعَ المُلْكَ مِنْ أَيْدِى مُنَاظِرِهِ * وَفَازَ مِنْ وَحْشَةِ الدُّنْيَا بِإِينَاسِ
مَنْ يَفْعَلِ الخَيْرَ لَا يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ * لَا يَذْهَبُ العُرْفُ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ

العظة الرابعـــة والسبعون

(الحَارِثُ وَزَوْجَتُهُ والجحشُ)

رَكِبَ جَحْشًا حَارِثٌ على سَفَرْ * وَتَبِعَتْـهُ زَوْجُهُ على الأَثَرْ
فَقَالَ قَوْمٌ قَدْ أَعَزَّ نَفْسَـــهُ * بِغَيْرِ حَقٍّ وَأَذَلَّ عُرْسَـــهُ
فَقَـامَ كَيْ يَرْتَاحَ فِى زَمَانِهِ * يُسْكِتُ مَنْ يَحْذَرُ مِنْ لِسَانِهِ
فَانْحَطَّ عَنْ مَرْكَبِـهِ تَرَجُّلَا * وَامْتَطَتِ الزَّوْجَةُ مِنْهُ بَدَلَا
فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ هَلْ تُفَضِّلُ * عَلى الرِّجَالِ امْرَأَةً لَا تَعْقِلُ
فَقَالَ إِنِّى مُرْدِفٌ لِزَوْجَتِى * حَتَّى يَكُفَّ النَّاسُ عَنْ مَذَمَّتِى
فَامْتَطَيَا الجَحْشَ إِلَى أَنْ ضَعُفَا * وَكَلَّ مِنْ حَمْلِهِمَا فَوَقَفَا
فَقَالَ آخَرُونَ كَمْ فِى النَّاسِ * مِنْ خَشِنٍ فَظِّ الفُؤَادِ قَاسِ
فَنَزَلَا عَنْـهُ بِلَا تَوَانِ * لِيَمْنَعَا شِقْشِقَةَ اللِّسَانِ
فَقَالَ شَاهِدٌ لِهٰذِى الحَالِ * قَدْ نُكِبَ الزَّوْجَانِ بِالخَبَالِ
فَقَالَ هٰذَا الحَارِثُ المِسْكِينُ * كُلُّ امْرِئٍ بِرَأْيِهِ مَفْتُونُ
وَالشُّكْرُ فِى النَّاسِ قَلِيلٌ جِدًّا * إِنْ لَمْ تُصَابِرْهُمْ بَقِيتَ فَرْدَا

قَالَ أَبِي ذَا الرَّوْضُ مَا أَحْلَاهُ * وَعُشْبُهُ فِي الجِسْمِ مَا أَمْرَاهُ
قَالَ أَبُوهُ يَوْمَ تَشْتَهِيهِ * وَهُوَ الَّذِي بِالأَمْسِ كُنْتَ فِيهِ
وَالمَرْءُ طَبْعًا زَاهِدٌ فِيمَا مَلَكْ * وَلَوْ جَرَى بِأَمْرِهِ حُكْمُ الفَلَكْ
وَمِنْ قَدِيمٍ قَالَتِ الأَسْلَافُ * مَنْ يَمْلِكِ الشَّيْءَ لَهُ يَعَافُ

العظة الثالثة والسبعون

(الفلاح والملك)

اِسْمَعْ حَدِيثَ مَلِيكٍ عَزَّ فِي النَّاسِ * أَجْرَتْ عَلَيْهِ اللَّيَالِي حُكْمَهَا القَاسِي
فَفَارَقَ المُلْكَ رَغْمًا مِنْ إِرَادَتِهِ * وَجُرِّعَ الذُّلَّ بَيْنَ الكَاسِ وَالطَّاسِ
وَظَنَّ أَنْ لَا يَعُودَ المُلْكُ إِذْ ذَهَبَتْ * آمَالُهُ وَدَهَتْهُ شِدَّةُ اليَأْسِ
لَكِنْ أَخُو الجُودِ أَنْ تَجْرَحْهُ جَارِحَةٌ * كَانَتْ أَيَادِيهِ نِعْمَ الطِّبُّ وَالآسِي
وَمَا رَعَى مَلِكٌ قَوْمًا بِمَكْرُمَةٍ * إِلَّا رَعَاهُ بِنَصْرٍ مَالِكُ النَّاسِ
وَبَيْنَمَا كَانَ فِي حُزْنٍ وَفِي نَكَدٍ * وَافَاهُ ذُو أَدَبٍ رَاقٍ وَأَحْسَاسِ
وَقَالَ مَوْلَايَ أَنْ جَارَ الزَّمَانُ فَمَا * عَلَيْكَ مِنْ حَادِثِ الأَيَّامِ مِنْ بَاسِ
أَنْتَ المَلِيكُ وَرُوحِي أَفْتَدِيكَ بِهَا * مَادَامَ فِي الجِسْمِ تَرْدِيدٌ لِأَنْفَاسِي
إِلَيْكَ مَا لِيَ فَاغْزُ المَارِقِينَ بِهِ * وَعُدْ عَزِيزًا وَوَطِّدْ مُلْكَكَ الرَّاسِي
وَبَعْدَ نَصْرِكَ مَا تَرْجُو سَرَائِرُنَا * سِوَى بَقَائِكَ فِينَا سَالِمَ الرَّاسِ

العظة الثانية والسبعون

(الجَوَادُ وَالمُهْرُ)

كَانَ جَوَادٌ بَعْدَ عُمْرٍ طَالَا * أَنْتَجَ مُهْـرًا نَزِقًا مُخْتَالَا
رَبَّاهُ فِي مَرْعَى نَدِيٍّ مُخْصِبِ * فِي طَيِّبِ الأَكْلِ وَصَافِي المَشْرَبِ
فَمَلَّ تِلْكَ العِيشَةَ المَرْضِيَهْ * وَسَاوَرَتْهُ دُونَهَا أُمْنِيَّهْ
فَقَالَ لِلْوَالِدِ إِنِّي ذَاهِبُ * عَنْ مَرْتَعٍ ضَاقَتْ بِهِ المَذَاهِبُ
كَفَى الَّذِي لَاقَيْتُ مِنْ تَحَمُّلِ * فَلَذَّةُ الحَيَاةِ فِي التَّنَقُّلِ
أَجَابَهُ الوَالِدُ لَا شَيْءَ لَدَيَّ * أَحَبُّ مِمَّا تَتَمَنَّى يَا بُنَيَّ
إِنِّي أَسِيرُ حَيْثُمَا تَسِيرُ * وَالرَّأْيُ يَا بُنَيَّ مَا تُشِيرُ
وَخَافَ أَنْ يَأْبَى إِذَا مَا مَنَعَهْ * وَٱسْتَعْمَلَ الحِكْمَةَ حِينَ اتَّبَعَهْ
وَسَارَ ذَاكَ الأَصْلُ خَلْفَ الفَرْعِ * فَنَزَلَا أَرْضًا بِغَيْرِ زَرْعِ
وَبَاتَ كُلٌّ مِنْهُمَا فِي جُوعِ * وَلَمْ يَذُوقَا لَذَّةَ الهُجُوعِ
فَصَارَ يَشْكُو المُهْرُ سُوءَ الحَالِ * مُطَالِبًا أَبَاهُ بِالتَّرْحَالِ
فَرَدَّهُ أَبُوهُ رَدَّ المُعْجَبِ * لِلرَّوْضَةِ الأُولَى الَّتِي لَمْ تُعْجِبِ
حَتَّى إِذَا تَنَفَّسَ الصَّبَاحُ * وَٱنْتَعَشَتْ بِضَوْئِهِ الأَرْوَاحُ
وَأَكَلَ المُهْرُ مِنَ الأَعْشَابِ * وَشَرِبَ العَذْبَ مِنَ الشَّرَابِ

فَبَدَّلَا الشُّكْرَانَ بِالكُفْرَانِ * وَأَنكَرَا صَنِيعَةَ الإِحْسَانِ
إِنَّ اللَّئِيمَ وَخَسِيسَ الأَصْلِ * لَا يَسْتَحِقَّانِ لِبَاسَ الفَضْلِ
وَمَنْ يُرَبِّي خَلَفًا لِغَيْرِهِ * بَمَاحِتٍ بِمَالِهِ عَنْ ضَيْرِهِ

العظة الحادية والسبعون

(الشَّيْخُ وَوَلَدُهُ وَالعَبِيدُ)

شَيْخٌ عَظِيمٌ فِي البَرَايَا سَعِيدْ * لَهُ مِنَ الدُّنْيَا غُلَامٌ وَحِيدْ
حَلَّ ابْنُهُ يَوْمًا بِسُتَانِهِ * وَالنُّورُ فِيهِ مِثْلُ عِقْدٍ نَضِيدْ
فَعَاثَ فِيهِ لَا يُبَالِي الأَذَى * وَغَادَرَ الزَّرْعَ هَشِيمًا حَصِيدْ
ثُمَّ أَتَى وَالِدُهُ بَعْدَهُ * وَشَاهَدَ الرَّوْضَةَ كَادَتْ تَبِيدْ
وَقَالَ مَنْ أَتْلَفَ غَرْسِي وَهَلْ * سَطَا عَلَى الغَرْسِ عَدُوٌّ شَدِيدْ
فَلَمْ يُجِيبُوهُ وَقَدْ أَطْرَقُوا * خَوْفًا عَلَى النَّجْلِ العَزِيزِ الفَرِيدْ
فَأَقْبَلَ الطِّفْلُ مُقِرًّا بِمَا * جَنَى وَقَالَ افْعَلْ أَبِي مَا تُرِيدْ
أَنَا الَّذِي فِي الرَّوْضِ عَاثَتْ يَدِي * وَخَالِقُ الكَوْنِ عَلِيمٌ شَهِيدْ
فَفَرِحَ الوَالِدُ مِنْ صِدْقِهِ * وَخَصَّهُ مِنْ عَطْفِهِ بِالمَزِيدْ
وَقَالَ يَا نَجْلِي بَلَغْتَ الهُدَى * فَسِرْ عَلَى النَّهْجِ القَوِيمِ السَّدِيدْ
عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ وَلَوْ أَنَّهُ * أَحْرَقَكَ الصِّدْقُ بِنَارِ الوَعِيدْ

أنْتِ ٱرْتَكَنْتِ على الغُصُو ... نِ وَنَحْوِهَا فِي كُلِّ أَمْرِكْ
لَـوْلَا ٱرْتِكَانُكِ كُنْتِ أَوْ ... ضَعَ مَا يَكُونُ لِضَعْفِ أَزْرِكْ
وَالرِّيحُ قَاصِفَةُ الغُصُو ... نِ وَقَدْ تَمُرُّ عَلَى مَقَرِّكْ
كَيْفَ الفَخَارُ وَأَنْتِ فِي الدَّ ... نْيَا مُعَلَّقَةٌ بِشَعْرِكْ
فَاعْلِي بِنَفْسِكِ أَنْ أَرَدْ ... تِ الفَخْرَ بَيْنَ بَنَاتِ دَهْرِكْ
وَدَعِي الفَخَارَ بِزَهْرِ غَيْـ ... ـرِكِ وَافْخَرِي حَقًّا بِزَهْرِكْ

العظة السبعون

(نُكْرَانُ الجَمِيلِ)

أَعْتَقَ لِلهِ أَمِيرٌ جَارِيَهْ ... وَهٰذِهِ عَادَةُ خَيْرٍ جَارِيَهْ
وَقَدْ رَأَى زَوَاجَهَا صَوَابَا ... كَمَا رَأَى فِي عِتْقِهَا ثَوَابَا
فَهَمَّ حَتَّى جَاءَهَا بِبَعْلِ ... كُفْءٍ لَهَا تَسَاوِيَا فِي الأَصْلِ
فَوَلَدَتْ مِنْ بَعْلِهَا بَنِيهْ ... ثُمَّ دَهَتْهَا بَعْدَهَا المَنِيَّهْ
فَأَحْضَرَ الأَمِيرُ تِلْكَ الطِّفْلَهْ ... إِلَيْهِ مُغْدِقًا عَلَيْهَا فَضْلَهْ
تَرْفُلُ فِي العِزِّ وَفِي النَّعِيمِ ... رَاتِعَةً فِي خَيْرِهِ العَمِيمِ
حَتَّى إِذَا آنَ لَهُ الزَّوَاجُ ... زَوَّدَهَا مِنْ كُلِّ مَا تَحْتَاجُ
وَعَمَرَ الزَّوْجَيْنِ بِالهِبَاتِ ... وَالمَرْءُ لَا يَعْلَمُ حُكْمَ الآتِي

وَبَيْنَمَا القَوْمُ فِي لَهْوٍ وَفِي طَرَبٍ ... إِذْ مَرَّتِ الأُتُنُ تَرْعَى فِي مَرَاعِيهَا

قَالَتْ أَتَانٌ عَلَامَ القَوْمُ فِي طَرَبٍ ... بِنَغْمَةٍ لَمْ أَجِدْ نِي لَذَّةً فِيهَا

فَلَمْ تُعَرِّجْ وَسَارَتْ وَالحَمِيرُ لَهَا ... مِنَ النَّهِيقِ غِنًى عَمَّنْ يُغَنِّيهَا

وَفِي المَسِيرِ رَأَتْ مِنْ بَيْنِ أَرْجُلِهَا ... قِيثَارَةً كَانَ بَعْضُ النَّاسِ نَاسِيهَا

فَأَمْسَكَتْهَا بِأَيْدٍ وَهِيَ ضَارِبَةٌ ... فَأَحْدَثَتْ فِي نُفُوسِ الأُتْنِ تَنْبِيهَا

وَبَعْدَحِينٍ أَجَادَتْ نَغْمَةً فَغَدَتْ ... تَكَادُ تَرْقُصُ مِنْ إِبْدَاعِهَا تِيهَا

وَقَالَتِ الآنَ أَعْطِي القَوْمَ مَعْذِرَةً ... وَذَلِكَ المَثَلُ المَضْرُوبُ يُعْطِيهَا

لَا تَبْلُغُ النَّفْسُ مِمَّا لَيْسَ تَعْرِفُهُ ... حَظًّا فَمَا جَهِلَتْهُ مِنْ أَعَادِيهَا

العظة التاسعة والستون

(اللِّبْلَابَةُ وَالنَّجْمُ)[1]

لِبْلَابَةٌ قَالَتْ لِنَجْمٍ مَرَّةً ... يَا طُولَ صَبْرِكْ

أَرْثِي لِحَالِكَ حَيْثُ أَنَّكَ فِي انْخِفَاضِ طُولِ عُمْرِكْ

أَعْلُو وَمَالَكَ مِنْ عُلًا ... وَأَقَلُّ قَدْرِي فَوْقَ قَدْرِكْ

فَأَجَابَهَا يَا هٰذِهِ ... لَقَدِ ازْدَهَيْتِ بِغَيْرِ خُبْرِكْ

بِسَوَاكِ أَدْرَكْتِ السُّمُوَّ وَأَنَّنِي أَدْرَى بِسِرِّكْ

(١) النجم من النبات ما لم يكن على ساق قال الله تعالى (والنجم والشجر يسجدان)

العظة السابعة والستون

(الغُلَامُ والنَّخْلَةُ)

تقدّمَ الركبَ فتًى من العربْ * حتى أصابَ نخلةً ذاتَ رُطَبْ
فهبَّ كى يجنِيَ بعض البلحِ * لكنَّهُ لطولها لم يُفْلِحِ
فعاد يدعو الأخَ والأمَّ معه * ليصحَباه فى اجتلابِ المنفعهْ
فخضرا طُـرًّا بلا أمهـالِ * وانتظموا من حولها فى الحالِ
فحمل الأخُ الكبيرُ الأصغرا * ليبلغَ الحَمْلَ ويجنِى الثمـرا
فظفـروا منها بخـير جَمّ * ورجعوا لحيّهـم بالغُـنْمِ
والرزقُ يبغى كلَّ من يَبْغيهِ * وكلّ ذى رزقٍ سيستوفيهِ
وهكذا منـافعُ العبـادِ * فى لسـعى والعزمِ والاتحادِ
فاعمَـلْ بها والتزمِ القنـاعهْ * إنَّ يدَ اللهِ مع الجمَـاعَهْ

العظة الثامنة والستون

(الأتَانُ والقِيثَارَةُ)

رَاعٍ مُقِيمٌ بِأَرْضٍ طَابَ وَادِيهَا * غَنَّى بِقِيثَارَةٍ رَقَّتْ أَغَانِيهَا
خَفَّتْ إِلَيْهِ رُعَاةُ الحَيِّ تَسْمَعُ مَا * يَشْوقُ مِنْ لَحْنِهَا المُشْجِى وَتُطْرِيهَا

---

(١) القيثارة آلة يضرب عليها

العظة السادســـة والستون

(الورقاءُ والفرخ الذى ربته)

ورقاءُ عاشت وهى ترجُو أن ترى ٭ فرخا بطلعتِهِ الحيـاةُ تَطيبُ
فيكون نسـلا صالحا ويُعزُّها ٭ وتُعزُّه وكلاهُما محسوب
نظرتْ بعُشِّ ذاتَ يوم بيضةً ٭ تُرِكَتْ وليس لها هناك رقيب
قالت سأحضـنُها إلى أيّامها ٭ لأرى بها خَلَفا وذاك قريبُ
حتى إذا ماأفرختْ جاءالذى ٭ نقفتْه وهو عن الحمام غريب
لا شكلُه شكلُ الحمام ولا لَه ٭ من نوع ساجِعةِ الأراكِ نصيب
جعلتْ تربّيه لتُحسِنَ سـيره ٭ فيَزينُـه التعلـيمُ والتأديب
لكنها خابتْ أمانيها وكم ٭ جهدَت وجَهدُ البائسات يخيب
إذ حَلَّ فى وَكْرِ الحمـامة زائرا ٭ شُحُورُ روض بالغِناء طروب
فعـدا عليه الفرخُ غير مجامل ٭ وأماتَه فى الحال وهو غضوب
فتكدرتْ منه الحمامةُ وانثنت ٭ وفُؤادها ممـا رأتْهُ كئيب
أسفتْ لتربيةٍ وحسنِ رعاية ٭ ضاعتْ وقالتْ ماحكاهُ لبيب
إن كان طبعُ المرءِ سوءًا لم يُفد ٭ فى طبْعِهِ وعظٌ ولا تهـذيبُ

العظة الخامسة والستون

(الباحث والمقلد)

شَخْصَانِ كَانَا يَعْبُدَانِ الشَّمْسَا ٭ كِلَاهُمَا عَلَى الْخِلَافِ أَمْسَى

فَوَاحِدٌ يَعْبُدُهَا بِجِدّ ٭ مُقَلِّدَ الوالِدِ بَعْدَ الْجَدّ

وَوَاحِدٌ قَدْ قَالَ دِينُ الْعَارِفِ ٭ لَيْسَ كَدِينِ النَّقْلِ بِالزَّخَارِفِ

وَفِكْرَتِي فِي كُلِّ عِلْمٍ سَامِيَهْ ٭ مِنْ أَجْلِ دَرْسِي لِلْعُلُومِ الْعَالِيَهْ

وَكُلُّ مَنْ يَبْحَثُ عَنْ حَقِيقَهْ ٭ أَوْصَلَهُ الْبَحْثُ إِلَى الطَّرِيقَهْ

الشَّمْسُ لَا أَدْرِي لَهَا تَكْوِينَا ٭ فَكَيْفَ أَرْضَى بِالْخَيَالِ دِينَا

فَجِدَّ فِي مَبْحَثِهِ حَتَّى اهْتَدَى ٭ بَعْدَ الضَّلَالِ وَلَهُ الْحَقُّ بَدَا

وَعَبْدُ الرَّحْمٰنِ حِينَ لَاحَا ٭ لَهُ ضِيَاءُ الرُّشْدِ فَاسْتَرَاحَا

وَمَا ارْعَوَى عَنْ جَهْلِهِ أَخُوهُ ٭ وَالْغَيُّ مَوْعُودٌ بِهِ ذَوُوهُ

فَعَاشَ فِي الضَّلَالِ طُولَ الْعُمْرِ ٭ وَبَاتَ فِي جَهَالَةٍ وَوِزْرِ

مَا أَغْبَنَ الْمَغْبُونَ بَعْدَ عَقْلِهِ ٭ مَا أَضْيَعَ الْغِمْدَ بِغَيْرِ نَصْلِهِ

لَا شَيْءَ كَالْعَقْلِ مِنَ الْهِبَاتِ ٭ بِقَدْرِهِ تَفَاوُتُ الْحَيَاةِ

وَالنَّفْسُ لَوْ سَارَتْ عَلَى هَوَاهَا ٭ بِغَيْرِ عَقْلٍ حُرِمَتْ مُنَاهَا

مَنْ عَرَفَ اللهَ أَقَامَ الْحُجَّهْ ٭ لِدِينِهِ وَأَدْرَكَ الْمَحَجَّهْ

إلى مَتَى تُقيمُ فى الضـلال * وتعبُـدُ الأفيالَ كالجهّـال
فابحثْ هداك الله للسَّـداد * فالبحثُ يجلو الحقَّ للعبـاد
والعقل يهدى أهلَه لِلرُّشْد * فلا تكن مقـلِّدا كالقِـرْد

العظة الرابعة والستون

(الزُّنبور والنحلة)

قد أبصر الزُّنبورُ يوما نحـلةً * فى روضة فأتى اليها يُسرِع
ودنا أيا أختى فقالتْ إنّنى * تاللهِ من هذا الإخاءِ لأَفْزَعُ
فأجابهـا لا فرقَ فيما بيننـا * أنَا لأصلٍ فى الحقيقة نرجع
أوما كفاكِ على الأخوّة شاهدًا * شَـبَهٌ تؤيّدُه لديك الأذرع
فى شكلنا وطباعنا وصِباغِنا * ودوِيّنـا قامتْ شواهدُ أربع
حتى اشتركنا فى العيون فعندما * أمشى وتَمْشى تظلعين وأظلع
وقداشتبهْنا فى الأذى فرماحُنا * مشروعةٌ قد تَلْسعين وألسع
هذا دليلُ أنكِ الاختُ التى * كانتْ معى من ثَدْى أمّى ترضع
قالت له أنا إن لسعتُ منحتُهم * شهد الشّفاءِ فلا أضُرُّ وأنفع
لكن حرابُكَ للأذى أعددتَها * فإذا دنوتَ لجسمِ شخص تمنع
هـذا دليلُ البعـد فيما بيننا * نسبا فدعواكَ الأخوّةَ تُمنَع
وإذا جهلتَ من امرئ أعراقَه * وقديمَه فانظُرْ إلى ما يصنَع

العظة الثـالثة والستون

(الفيل الابيض)

فيلٌ من البيضِ له حكايه * غريبـــةٌ فى بابها للغـايه
رأى أناسا مَحَّضُوه الحُبّـا * وعَبَـــدُوهُ كالإلهِ رَبّا
يُفـدونه بالنفس والنفيس * كصنع آلِ مصر فى أَبيس (١)
فاضطربَ الفيلُ من العباده * وقال للخادمِ بئسَ العـادَه
ما سببُ اعتقادِكُمْ فى الفِيَله * وفيكم العقلَ وأنتم كَمَلَه
أليسَ فيكم من ذوى الالباب * عدَّكمُ اللهُ إلى الصـواب
قد فضَّـلَ اللهُ بنى الانسان * بالعقل والصـورةِ واللسان
قال وجدنا هكذا آباءنا * فلا تَلُمْ من بعدِنا أبناءَنا
ودِيننـا دينٌ قويم من قِدم * دينُ صـلاحٍ وعلومٍ وحِكَم
وفِيـهِ أنّ رُوحَ ربِّ الفضل * تَسْكُن جسمَ الفيلِ بعد النقل
وقد تبِعتُ الأَهل فى اعتقادى * ولست أدرى صحة الإسناد
قال اعتقادٌ باطلٌ من زمن * لا يَقبَـلُ المحالَ عقلُ الفَطِن
قد صدقَ القائلُ فى الكلام * ليس النُّهَى بعظمِ العِظَـام

(١) عجل عبده قدماء مصر

العظة الثانية والستون

(الكَرْكَدَنُ[1] والجمـل)

سَأَلَ الكَرْكَدَنُ السَّامِي الْقَوَى * جَمَلاً قد تاهَ زَهْـوا وافتخـرْ

أيُّ فرقٍ بيننـا حتى أرى * عيشك الصافي وعيشي فى كدرْ

إنْ تكن فى خَلْقةٍ تَفْضُـلُنى * كان لى فضـلٌ بأشياءَ أخَرْ

إنَّ لى قَـرْنا ودِرعا أتّقى * بهـما الشرَّ إذا الشرُّ حضرْ

قال كَلَّا أنت ناسٍ فاذكر[2] * خَصـلةً نسيانُها لا يُغتفَرْ

هى أنَّ الطبـعَ منى سَلِسٌ * لستُ أعْصِى مَنْ نَهانى أو أمر

كم فتًى فوقِى مِن كَرْبٍ نجـا * وفتًى أدرك بِى أقصَى الوطر

كم يدٍ مدخورةٍ لى عنـدهم * لم أشاهِدْ لكَ فيهـا من أثر

فلئن كان اشـتراكٌ بيننا * فهو لاشك اشتراكٌ فى النظر

إن فى الباطن فرقًا واضحًـا * ليس بالخافى وهل يخفَى القمر

فإذا شئت حيـاةً رغْدة * فَـزِنِ الخُلقَ بما يُرضِى البَشر

واجعل المعروفَ ذُخرا إنَّه * للفتى أحسن شىء يُدخر

---

(١) حيوان بالهند فى جثة الفيل ذو حافر على رأسه قرن واحد

(٢) تذكر

ليس عندى مثلَه طير وكم * لِى طيـورٌ غيرُ هذا لاتُعـد
عنـدَها قالَ له أســتاذُه * ذاكَ أنّ الفضلَ فى الناس كَسد
وترى الناسَ كثيرا فإذا * عُدّ أهلُ الفضلِ قَلّوا فى العدد

العظة الحادية والستون

(البهلوان وعَصَاه)

كان قديما بهـلوانٌ يلعَبُ * من فوقِ حبلٍ وبهذا يُعْجب
يحضُرُه أهـلُ القُرى جُموعا * كى ينظروا من صُنْعه البديعا
ففـرّدَ مجيئَهُـم إليْـه * ونشرُهُم حسنَ الثّنَا عليـه
فقال يوما مااحْتياجى للعصا * وقد ألِفتُ الحبلَ والترقُّصا
ثم رمَى العصا وفى اللعْبِ شَرع * فمالَ فوقَ الحبلِ حينا ووقع
مَن حدّثتْه نفسُـه بالقدره * وغرّهُ الوهمُ أضاعَ عُمـره
وكلّ من همّ وحيدا فى عمل * بلا نصير لم يجِد غيرَ الفشل
لابُدّ للانسـانِ من مُعين * يُعينُـه وصاحبٍ أمين
وإنّمـا السلطـانُ بالأعوان * واليـدُ بالساعدِ والبنان

العظة التاسعة والخمسون

(السرطان)

مشى السرطانُ يوما باعوجاج * فقلّد شكلَ مِشْيَتِهِ بَنُوهُ
فقال علامَ تنحرفون قالوا * سبقْتَ به ونحن مقلّدوه
فخالِفْ سَيْرَكَ المعوجَّ واعْدِل * فإنّا إنْ عَدَلْتَ مُعَدّلوه
أما تدرى أبانا كلَّ فرع * يُجارِى فى الخُطَا من أدّبوه
ويَنشأُ ناشئُ الفتيانِ منّا * على ما كان عَوّدَهُ أبوه

العظة الستون

(البُلبُلُ والأمير)

أخبروا أن أميرًا قد ورد * روضةً فيها نعيمٌ لا يُحَد
وهو يستصحبُ أستاذًا له * لينالَ الوعظَ منه والرَّشَد
فرأى من فوقِ غصنٍ بُلبلا * بجمالِ الشَّكلِ والصوتِ انفرد
فتمنّاهُ ووَلّى خَلْفَه * مُسرِعا فى سيره أنّى قصد
كلّما خادَعَه لم ينخدِع * كلما قاربَ مَثواه ابتعد
ثم غابَ الطيرُ فى غابتِه * واغتدَى الصيادُ منه فى كَمَد
قائلا واعجبا من مُطرِب * يسكُنُ الغابَ ولا يهوَى البلد

هأنذا ذاهبـــةٌ الى الخَـلا * كَيْ لَا أُلاقِي أحدا من المـلا
أقضِي هُناكَ العمرَ فى اعتدال * وأهجـــرُ الأنامَ باعتزال
فسـمعتْ مقالَهـا جاره * قالت لها ويْحَكِ من نقّاده
لاتخرُجى لاخيرَ فى الخروج * فالعيشُ يصفُو فى رُبا المروج
مَن الذى أقصاكِ عن تنعُّم * حتى غدوْتِ الآنَ فى تندُّم
أنْ هُو إلا سوءُ ظَنٍّ غالبِ * عليكِ وهو من طباع الغالب
فيممت مَرْجًا(١) به أزهـار * ولا تُرَى فى جوّه أطيـار
فابتهجتْ ونَوت الإقامه * زاعمةً أنّ بِهَا السـلامه
وفى الصباح أقبلَ الحصّاد * ودخلتْ مروجَها العبـاد
قالتْ لقـــد وافتنِى الرجال * فكيف لى اذًا تطيبُ الحال
فسـمع المقـالَ منها راع * فقال خَوْفٌ مَالَهُ مِنْ دَاع
ثم رَمَى بِها على رأس الشجر * وقال هاكِ فكُلى خيرَ الثمـر
فلا تظُنّى الشرَّ فى كلّ الأمم * فأنّ بعض الظـنّ إثْمٌ وندَم
ما أولع النفسَ بسـوءِ الظنّ * ما أسرعَ النفسَ إلى التمـنّى

(١) مرعى الدواب

العظة السابعة والخمسون

(الهزار والطاوس)

لما الربيع بدا والصفو قد حانا ✻ غنّى هزار على الأفنانِ أحسانا
فهبّ من عُشّهِ الطاوسُ منتخرا ✻ بخلّةٍ جمعتْ للحسن ألوانا
وقال يا صاحبا غرّتْه نغمتُه ✻ خذلك أبدعَ الأنغامِ إتقانا
إن كان طيبُ غناءٍ منك أطربنا ✻ فقبح ريشك لما بانَ آذانا
وليس شيءٌ كحسنِ الشكل صاحبُه ✻ تراهُ كلَّ ملوكِ الأرض سلطانا
لبستُ ثوبيَ من روض الجمال وما ✻ أطربتُ في روضتي صبا ونشوانا
وأنت مستهجَن خَلقا وتُنشدُ ما ✻ به تضيعُ نفاسا وأزمانا
فقال لا تفتخر أنّ الغناءَ له ✻ فضلٌ وسامعُه تلقاه جذلانا
لكل حسن مزايا قد خُصصن به ✻ لم يَمْنَحِ اللهُ كلَّ الحسنِ إنسانا

العظة الثامنة والخمسون

(الجـــرادة)

قالت جرادةُ كرِهتُ العيشه ✻ فليستِ الدنيا تساوي ريشه
فكم أرى فيها ارتكابَ إثمِ ✻ من كلِّ ذي نقصٍ وكلِّ فَدْمِ (١)

---

(١) العيّ والثقيـــل

وبات بعدَ العزّ فى المَـذلَّه * وبعـد صحـــةٍ أليفَ عِلَّه
قد كان يُدعَى بعظيم الفضل * فصار يُدعَى بثقيل الظـلّ
هذا جزاءُ الطَّيش فى الشباب * والطيشُ لا يهدى إلى الصواب
ومن أباحَ النفسَ ماتهـواه * فإنَّما معبـودُه هـــواه
تلقَ الفتَى الأهواءُ فى العناءِ * وربّما أفضتْ إلى البلاء
أن الشبابَ والفراغَ والجِدَه * مفسـدةٌ للمرء أىُّ مفسـده

العظة السادسة والخمسون

(الهـــر البرى)

آلَفَ إحدى الرياضِ هِرٌّ * للطيرِ ماعنده أمان
فى كل صبْحٍ وكُلّ لَيْـل * تغولُها حَرْبُها العَوان
حتى إذا ما الشبابُ ولّى * وخانَهُ فى القُوى الزمان
وصار يَخشَى وليس يُخشَى * والليثُ فى ضعْفِه جَبان
فازَ به حارسٌ رقيب * وكل باغٍ له أوان
رماهُ سهما وقال خذْه * كما يَدينُ الفتى يُدان

العظة الرابعـــة والخمســـون

(دودة القزّ ودودة الحقل)

فئةٌ من الحيوان فيما بينها * دارَ الحديثُ مُغرِّبا ومُشَرِّقا
وجرى لدودِ القزّ ضمنَ حديثها * ذكر أرقّ من السّلاف مروَّقا
هي دودةٌ هذا الحريرُ نسيجُها * ولقد يكون نسيجها إستبرقا
وهناك قامت دودةٌ حقليّـة * لم تحكها نفعا وساءت منطقا
أخذَت تخطّئها على تفضيلها * وتقول إنى لست ممن صدَّقا
فتعجّبَ السمّاعُ بعد حديثها * وأخو السعادةِ سُبّة لأُولى الشقا
فضلُ الفتى يُغرِى الحسودَ بسَبّه * والعود لولا طيبُه ما أُحرقا

العظة الخامسة والخمسون

(لاعبُ الميسر)

حكايةُ الوارثِ للأموال * نادرةٌ سارتْ مع الأمثال
قد كان يقضى الليلَ والنهارا * كِلَيهما فى لعبه القمارا
وكان لا يلعبُ إلاّ بالذهب * غيرَ مبالٍ إن تبَقَّ أو ذهب
ولم يزل يُسلبُ منه المالُ * حتى انتهى وساءَ منه الحال

أَصْـــغِ الى حكايةٍ مرويّه * عَنْ مَلِكٍ يَحْكُمُ فِي الرعيّـــه
قدعاقه الإفراط فى علم الفلك * عن التروّى فى أمورِ مامَلك
بترك شأنه لِنجم يرصُـــدُه * وكم عدوٍّ فى الوجود يقصِدُهْ
قال لتـابِـع بـــه ألمَّـا * فى ليـــلةٍ يرقُب فيها نجْمَـا
سوف أَرَى سكّانَ هذا القمر * بما اخترعتُ بصحيح النظر
أجابه خادمُه لا يبعُـــد * عليك ما تسعَى له وتَقْصِـدُ
مادمتَ تأتى الأمرَ من أبوابه * فالشئ لا يبعـد عن طُلّابه
فقال عاقلٌ من الجلّاس * لا يصلحُ الجسمُ بغير الراس
من وُلِّىَ الملكَ العظيمَ يتعَب * وأنت لاهٍ للنجـوم ترقُب
اللهُ فى هـذا المقـامِ أنزلك * لتنظـرَ الأصلح فيما خَوَّلك
لا أن تكونَ حاكمَ الأفلاك * ولا لكى تقضىَ فى السّماك
لكن تراعى عينُكَ الرعيّـه * فى أمرهم وتصلح الـبريّه
فالمُـلْكُ يرقى بالمليك العـادل * فى عاجل الأيّام أو فى الآجِل
فانظر رعاك الله أهلَ الأرض * واسلك سبيلا غير هذا يُرضِى
ولكن لمن ترعَى أبًا وأمّا * على المُهِّـــم قدِّم الأَهَمَّـا

وفى الموقف المرهوب قامتْ حيالَه * جموعٌ تَرُدُّ الطرْفَ وهو كليل (١)
فخاطبهم مستعطفا متبرّئا * وراح كما شاء النِّفاقُ يقول:
أتى الذئبُ يغتالُ الحروفَ فلم أكد * أوافيه إلّا والحروفُ قتيل
فلما بدا لى بعده يأسُ أمّه * كرِهْتُ لها أنَّ العذابَ يطول
وإذ جاءنى الراعى يَهُمُّ بقتلتى * فدافعتُ حتى لا يقالَ ضئيل
فقالوا جميعا إنَّ قولَك مريبةٌ * وليس عليها للخلوص دليل
وليس جزاءُ المعتدين سوى الردى * وذاك على الباغى الأثيم قليل
فلو خَلُصَ الانسانُ عند اندفاعه * لَمَا كان للبلوى إليه سبيل
إذا المرءُ لم يغلب هواه أقامه * بمنزلةٍ فيها العزيزُ ذليل

العظة الثالثة والخمسون

(الملك المشتغلُ بعلْمِ الفلك)

سبحانَ من فى كلِّ قلب أودَعا * ما شغل النفسَ به وأولَعا
وقوَّمَ الخَلْقَ وزانَ الخُلُقا * مسيّرا كُلًّا لِمَا قد خُلقا
والمرء فى الدنيا كثيرُ الأمل * لكنه موفَّقٌ للعَمَل
والله يعطى الملكَ من يشاء * يَصْحَبُهُ السعدُ أو الشقاء

(١) به ضعف

العظة الحادية والخمسون

(طالبُ الرزقِ بالحِرص)

ماذا يفيـدُ ذا الغِنَى غناهُ * إن لم يزِنْهُ الفضلُ فى دنياه
فلا يجارِى النفسَ فى مَطْمَعِها * ويضعُ الأموالَ فى موضعها
بَرًّا بنفسِه وبالأوطان * وبالفقير من بَنِى الإنسان
هذا الذى يَعيشُ فى حياة * منشرحَ الصدرِ إلى المماتِ
يقنعُ . يستغنِى . يُلاقى حظَّا * ولم يَخَفْ لائمةً ووعظا
أمّا الذى يعيشُ بالتقتير * فعيشهُ بالذُّلِّ والتحقير
مهما يبالِغْ فى طِلابِ الثروه * فما لَهُ مما ينالُ حُظوه
يأكلُ غيرُه لَهُ ما يطبُخ * ويطفِئُ النارَ له من ينفخ

العظة الثانية والخمسون

(الكلبُ المذنب)

عدا كَلْبُ أغنام على حَمَـلٍ بها * وعادَ ومِن فيه الدماء تُسيل
فلما شكتْـهُ الأُمُّ أَلحقَها به * وهبَّ على راعى القطيعِ يصول
وَقَدْ كَانَ بَعْضُ النَّاسِ فِى الوَقْتِ حاضرا * وفيهم شهودٌ صادقون عُدول
فسِيق إلى القاضى فأصدرَ حكمَه * بأن يقتلوه والجزاءُ مثيل

العظة الخمسون

(القـاتل أباه)

قتـــل يـــومًا ولدُ أباه * لِغَـــيْرِ ذنبٍ بعـــدمَا رَبَّاهُ
فصار بعدُ قارِعا سِنَّ الندم * لخوفه الحـاكمَ لا اللهَ الحَكَمَ
وَفَرَّ للغَـابِ وقال مُعْـرِضا * فى الغابِ لا تُبْصِرُنى عينُ القضا
و بينما يجوسُ وَسْط الغاب * إذا بعُشٍّ لَاحَ باقْـتراب
فصار يَرمى العُشَّ بالأحجارِ * حتى أماتَ الطيرَ فى الأوكار
وَبَعْـدَها عَارَضَهُ إنْسَانُ * وقال أيْنَ الرِّفقُ والحنانُ
ما ذا جَنَتْهُ هـــذه الطيُورُ * حتى على أفراخِهَا تجُـورُ
فَقَال فى أصْـــواتها رَخَامهْ * أخافُ مِنْهَـا أنها نَمَّامَهْ
وقد فَتكتُ بأبى إذْ كانا * جَعَانِى دونَ أخى مكانا
وَظُلْمُ ذِى القُربى على الإنسان * أشَـدُّ فى الوَقْع من اليَمَـانى
أجَابَهُ تَقتلُ نفسًا طاهـــرة * فكيف تَنْجُو من عذاب الآخره
وَجَرَّهُ قَسْرًا لِدَارِ الحَـاكِمْ * كَيْمَا يُجَازَى بالعِقَاب الصَّارم
وقال مُهْجَةُ فِـــدَاءُ مُهْجة * ثم التقى اللهَ بهذى الحُجَّـــة
يَحْنِى على فؤادِهِ مَنْ يَجْـنِى * كَادَ المُرِيبُ أن يقول خُذْنِى

العظة التاسعة والأربعون

(البازى[1] والحمام)

لقد صادَ بازٍ ذات يوم حمامةً * رآها على بعضِ الميـاهِ تحومُ
فعاجلَها بالنقر لا ذنبَ عندها * ولكن جفاءٌ فى الصدورِ قديم
وقال وقعتِ الآن بين مخالبى * فلا كان لى قلبٌ عليك رحيم
لقد أضمرتْ أبناءُ جنسك سابقًا * لنا الحقدَ حتى لا فؤادَ سليم
سأشفى غليلى منك غيرَ مهادن[2] * وما أنا فى قتـــلِ الأثيم أثيم
فقالت أيبغى جارحُ البازِ الأذى * حمامًا ضعيفًا والضعيفُ هضيم
إذا انطلقَتْ منا إليكم حمـامةٌ * فكلكمُ يبغى الأذى ويروم
فقال لقد أقررتِ بالذنب جَهرةً * وجهرُكِ بالذنب الجسيم جسيم
فأهلكها من بعـد ما بان أنها * بَرِيءٌ وأن الذنب منه عظـــيم
وجدتُ الفتى يرمى سواه بدائِهِ * ويشكو إليك الظلمَ وهو ظلُوم

---

(١) واحد البزاة التى تصيد ويقال ضرب من صقور ويقال فيه بازعى وزنه وجمعه أبواز وبزان (٢) مصالح

فأبصرت عند الرجوع ثعلبا * ولم تجد إلى الخلاص مهربا
فسـلمتْ لله كلَّ أمر * وانتظرتْ مآلَ ذاك الشر
لما دنا منها أجادَ الحيـله * قال لها ما أجملَ الخليله
إنّى أراكِ من خيالى خائفه * نادمةً على الخروج آسفه
وذلك الحقُّ لأنّ جنسى * بطبعه أباحَ قتلَ النفس
وكم توخّيتُ له الإصلاحا * فعدتُ بالمسعَى ولا نجاحا
لذا ك قد نبذتهُ ظِهريا * إذ لم أصادفْ عملا مَرضيّا
وصار دأبى البذلُ للنصيحه * بذمّة ونيّةٍ صحيحه
ولا أكونُ فى الورَى شريفا * إذا أنا لم أنصُر الضعيفا
لقـد رأيتُ أحدَ الثعالب * سَعَى إلى عُشكِ سَعْيَ الغاصب
فصرتُ مسرعا إليه جريا * فإنّ مثلى لا يَوَدُّ بَغْيا
فصدّقتْ وأدخلتْهُ فى القَفَصْ * فانتهزَ الفرصةَ والدنيا فُرَصْ
وأهلكَ الدجاجَ والأفراخا * لم تستطعْ وثبًا ولا استصراخا
المكرُ والخِبُّ(١) أداةُ الغادر * والكذبُ المحضُ سلاحُ الفاجر

(١) الخداع

العظة السابعـــة والاربعون

(الرجل التائه فى الصحراء)

من الحكايات شخصٌ ضَلَّ فى سفَرٍ * عن الطريق وأمسَى إِلْفَهُ الشَّجَنُ
وصار ترفَعُـهُ بِيدٌ وتَخفِضُـــه * أخرَى ولاساكنٌ فيها ولاسكن
وللظمَا والطَّوَى فى وجهه أَثَرٌ * وللضنَى والأَسَى فى جسمه وهَن
ويَحْفِرُ الرملَ ظَنًّا أن يكونَ به * ماءٌ وذو العذرِ بالأوهامِ مفتتن
وبينما هو فى الصحراء محتفِـــر * أصابَ كَنزًا وفيه المغنمُ الحسن
فصـــدّ عنه وماذا كان ينفـعه * إذ عمرُهُ بشراب المـاءِ مرتهن
أريدُ من زمنى ماءً فيمنحُنِى * مالًا فمـا ذلك التنغيصُ يازمن
أينفعُ المـالُ والإنسانُ فى ظمأ * أَمَامَهُ الموتُ لاقبرٌ ولا كفن
ماكلُّ مايتمنَّى المرءُ يدرِكُه * تأتِى الرياحُ بما لاتشتهى السفُن

العظة الثامنة والاربعون

(الدجاجةُ والثعلبُ)

دجاجةٌ سـليمةُ الطـويّه * غليظـــةٌ فاقِـــدةُ الرويّة
قدخرجتْ يومًا أمامَ القفص * معجبـــةً تختـالُ بالترقص
وبَعُدتْ ومادرت من جهلها * أنَّ المنايا نُصِبَتْ لحتلها

العظة السادسة والاربعون

(المزارعان)

مُزارعانِ أخوانِ كانا ... قد وِرِثا عن والدٍ بستانا
وكان هذا مُخْلِصًا لهذا ... من خافَ ضُرًّا بأخيهِ لاذا
فواحدٌ قد لزِمَ الزراعه ... وواحدٌ لم يرضَها صناعه
كان الذى آثرَ حرثَ الحَقْل ... من الشقيقين رجيحَ العقل
متكلاً مع اجتهادِهِ على ... إلهِهِ قد جلَّ شأنًا وعَلا
فتُخرِجُ الأرضُ على قدرِ التعب ... نباتَها من فضةٍ ومِنْ ذهب
أمَّا الذى فى نُضْرةِ الشباب ... فاهتمَّ بالبحث عن الأسباب
ليعلم البذرة كيفَ أثَّرت ... بغير رُوح فى الثَّرى وأثمرت
وكيف وهْى الحبَّةُ الصغيره ... تجىء بالسنابل الكثيرة
فأخذتْهُ حيرةُ الظنون ... وبات مما حارَ كالمجنون
وهامَ بالبحثِ وفاتَ الزرعا ... فلم يُفِدْهُ بعدَ ذاك نفعا
وما جنتْ يداهُ إلا تعبًا ... لم يَجْنِ من يَزْرَعُ شوكًا عِنَبًا

العظة الخامسة والاربعون

(الهر والمرآة)

رأى هِرٌّ خيالا منه يوما ٭ بمرآةٍ بها صَقْلٌ بديعُ
فهمَّ إليه بالأظفارِ وثبا ٭ ووثبُ الهرّ في خطبٍ سريعُ
فلم يقدرْ عليه فزادَ غيظا ٭ وذو الحاجاتِ مفتنٌ ولوعُ
وقام يدورُ من خلف يرجى ٭ طلوعا حيثُ يُمكنُهُ الطلوعُ
وعاد وقد رآه إذا توارَى ٭ يغيبُ وفي الرجوع له رجوعُ
فلما حارَ منه وضاق ذرعا ٭ وأفنى جهدَه الخطبُ الفظيعُ
علا المرآةَ ملتفًّا عليها ٭ وذاك لأنَّهُ منها جَزوعُ
فمالتْ بالخيال فظنّ جهلا ٭ بأنّ الهرَّ داخلَها ضجيعُ
فمدَّ أظافرَ الأيدي إليه ٭ ليُمْسِكَه فعاجَلَه الوُقوعُ
ولما لم تنلْهُ يداهُ وَنَّى ٭ وحقّق أنّ مطلبَه منيعُ
وعادَ لشأنِهِ يصطاد فأرا ٭ وعزّ عليه أوقاتٌ تضيعُ
إذا لم تستطعْ شيئا فدعْه ٭ وجاوِزْهُ إلى ما تستطيعُ

فقالت الشيوخُ للشُّبان * الأمرُ سَهْلٌ وهو فى الإمكان
لله أسرارٌ مع التدبير * يَحارُ فيها بصرُ البصير
إذا أردنا أن يدومَ الماءُ * لنسقِىَ الأرضَ متى نشاءُ
نقيم خزّانا لحفظ المطر * ومنه نروى زرعَنا بقَدَر
فصوَّبوا مقالَهُ جميعا * ونهضوا لشغلهم سريعا
لكنَّ كلًّا فى المياهِ طمِعَا * فأكثروا جداولاً وتُرَعا
وأطلقوا المياهَ فى الجداولِ * وخالفوا قولَ النصيحِ العاقلِ
فصار ماءُ أرضهم طُوفانا * أغرقَ من كَثْرتِهِ المكانا
والناسُ هاجتْ كلُّها فى الحال * على شيوخهم لسوءِ الحال
يرمُون كلًّا بالأذى والعَيْبِ * بلا حَياءٍ من وَقار الشَّيْبِ
قالت لهم شيوخُهم قد جزتمُ * حدَّ الصواب فى الذى استجزتمُ
إنَّا بحَفْرِ جدولٍ أمَرْنا * وما بكلِّ هذه أشَرْنا
وأنتمُ عن طمع وجهل * فرقتم الماءَ بغير عقل
إن الجهول المستبدَّ طبعا * يضرّ من حيث يُرِيدُ النفْعا
من أبرَمَ الأمرَ بلا تدبير * صيَّرَهُ الدهرُ إلى التدمير
وقيل فى أمثالهم إن الطمع * يُذهبُ كلَّ مالَهُ المرءُ جَمع

العظة الثالثة والاربعون

(المعجبُ بآبائه)

فتًى من بنى الأتراكِ كان له حسبْ * وكان يَجُرُّ الذيلَ فخرًا على العربْ
يعدِّدُ بينَ الناس فضـلَ جدُوده * ويذكُرُ تاريخَ المناصبِ والرُّتَبْ
ويحسَبُ أنَّ المجدَ فى بيته له * تراثٌ وأنَّ المجدَ يورَثُ بالنسب
فما زال مختالا يبـدِّدُ إرثه * وليْسَ لَهُ فى المَجْدِ والمَالِ مُكتسب
إلى أن مضى عصرُ الشبابِ وعزّه * ولم يَنْتَفِـعْ فيه بعـلمٍ ولا أدب
وأصـبح مخفوضَ الجَناح كسِيرَه * وكم جاهلٍ مجدَ الجدودِ به ذهب
إذا الغصنُ لم يُثمِرْ وإن كان شعبةً * من المثمراتِ اعتدَّهُ الناسُ فى الحَطَبْ

العظة الرابعة والاربعون

(الغَرَقُ والطوفانُ)

يقـالُ كانت قريةٌ معموره * بأهلهـا وبالغِـنَى مغموره
سُكانُها من خيرِها العمـيم * قد أصـبحوا فى جَنّةِ النعيم
ثم أصابتْهم صروفُ الدهر * فبـدَّلتْ يَسَارَهُم بالعســر
فَنَضَبَ المـاءُ وقلَّ القوتُ * وأوشـكَ الجميعُ أن يموتوا
وأصبحوا فى حَيْرةٍ وَطَيْش * لَمـا رأوْه من مريرِ العيش

أقبلَ قومٌ من بنى الإنسان * على صدَى الصوتِ بلا توان
فاتفقوا أن تُبدَ الخصومه * ويُعرَض الأمرُ على الحكومه
وطلبوا التحكيمَ فى القضيّه * من هؤلاء القومِ عن رَوِيّه
فاهتمّ منهم واحدٌ وقاما * وكان بالخيولِ مُستهاما
وقال إنّ أشرفَ الأنواع * كرائمُ الخيولِ بالإجماع
لأنّها المُساعِدُ الوحيدُ * فى كل ما ينفعُ أو يُفيد
لها مزايا فى الحروبِ لا تُعَدّ * والخيل فيها الخير معقودٌ وَرَدْ
وآخرٌ قد مدحَ الحِمَارا * مبالِغًا فى مدحه جهارا
وقامَ واحدٌ من الجماعه * وامتدحَ الثيرانَ للزراعه
وقال لولا الحرثُ بالثيران * ما تَمَّ زرعٌ لبنى الإنسان
فانصرفوا وما أتَوا بحُكم * لواحدٍ يدْحَضُ قولَ الخَصْم
بل كلُّ فرد عن هواهُ ينطق * والمرءُ مُغْرًى بهوى ما يَعْشَق
وذاك صِدقُ قولهم فى الماضى * الحكمُ ما ترضاهُ نفسُ القاضى

حتى إذا ماقَلَّتِ المياه * ورجعَ النهرُ إلى مجراه
لم تستطعْ أن ترجعَ الأسماكُ * وعمَّ فيها الويلُ والهلاكُ
وهالكٌ مَنْ سارَ فى هواهُ * مخالفًا فى سيره أباه
والنفسُ إنْ أتبعتَها هواها * فاغرةٌ تحورداها فاها

العظة الحادية والاربعون

(الجُرذُ والمبْرَدُ)

سعَى إلى رزقهِ فى ليلةٍ جُرَذٌ * يُؤَمِّلُ الخيرَ لكن خانَهُ الأَملُ
أَصابَ بعد عناءٍ مِبردًا خشنا * صُلْبًا تسنُّ به الأَسيافُ والأَسلُ
فصار يقرِضُ قرضا ماله أثَر * فيه ومزَّقَ فاه ذلك العملُ
وهكذا من يعانى غيرَ مختبرٍ * مالا يُطيق عَراهُ الضُّرُّ والفشل
كناطح صخرةً يوما ليوهِنَها * فلم يَضِرْها وأَوهَى قرنَهُ الوعِل

العظة الثانيـــة والاربعون

(الثَّورُ والحِصانُ والحِمارُ)

تفاخرَ الحِمارُ والحِصانُ * والثورُ حين ضَمَّها مكانُ
وصار كلٌّ يزدهى بفخرِه * على سواه وعُلوّ قدرِه
فبينما الجميعُ فى جِدال * وقيلهُم مُختلِطٌ بالقالِ

أواهُ من عهد الصِّبا * لم يبق غير الذكر
يا ليتَ لى صناعةً * مثلَك تُعْلى قدرى
فالمرءُ بالصنعة قد * يأمنُ شرَّ الفقر

العظة الاربعون

(السمكة)

نصائحُ الآباءِ للأبناءِ * مثلُ دواءٍ مُبْرِئٍ للداء
قد أَخذتْ سمكةٌ كبيره * تنصَحُ أولادا لها صغيره
قالتْ بنى كُنّ وسطَ النهر * واسبحن لا تجئْن نحو البرّ
واحذرْنَ من حبائلِ الصيّاد * فإنها لكُنَّ بالمرْصاد
وكان هذا القولُ فى الشتاء * والماءُ يهمى من فم السماء
وعمَّ هذا الماءُ كلَّ الأَرض * منتشرا فى طولها والعرض
وعندذاك فارقَ النهرَ السمكُ * وعام فيما حولَهُ من البركْ
وقال يا من نَصَحتْ وحذَّرتْ * من الردى وهوّلت وأنذرت
قُومى انظرى دنيا بدَت جديده * فيها لنا ممالكٌ عديده
قالت لهن هذه العجوزُ * مخالفاتُ الأُمِّ لا تجوزُ
قالت لها بناتُها دعينا * لسنا لنُصح منكِ سامعينا
ولم تعُدْ نهرها المصون * مغترةً بخدعةِ العُيُون

العظة التاسعة والثلاثون

(القُـــبَّرة[1] والقُمرية[2])

قـد جاورتْ قُـــبَّرةٌ * إحدى شوادِى القُمرى
وطالما قالتْ لهـــا * أحرجتِ شَدْوًا صدرى
الصـوتُ ليس مجديا * إلَّا ضـــياعَ العمـــر
أمـا أنا فطلْعـــتِى * بكلّ حُسن تُزرِى
إنّى خُلِقْتُ للهـوى الـــمُعذْرىّ وهـو عُذْرِى
ثم نأتْ كلتا هُمـا * على اختلافِ فكر
وصـار كلٌّ منهما * على هـــواهُ يجـرى
وبعـد أعوام مضتْ * تـــراءتا فى قَفْـــر
والحسنُ عن ربَّته * ولّى كعُمْر الزَّهـر
قالتْ لهـــا جارتُهـا * قولَ النصيح الحُـــرِ
أينَ جمـالُكِ الذى * كان جمالَ الفخرِ
مضى البهـاءُ وانطوَى * ومالَهُ من نشـــر
وللجَـــمال دولـــةٌ * قصـــيرةٌ فى الدهـــر
قالت لهـا لا تذكُرى * ماقد مضَى من أمرى

---

(١) القُـــبَّر كسُكَّر ضرب من العصافير الواحدة قبَّرة (٢) والقمرى من الحمام أخت الانثر بالهاء

واعلم بأنّ العيشَ بين ربوعنا ... عيشٌ يُعَـزُّ به الذليـلُ ويرفَعُ
لم تلقَ فينا واحدا مستأثرا ... منا بشيءٍ للجماعـة ينفَـع
هذا الفضاءُ بأرضِـه وسمائه ... مِلْكٌ لنـا بجمـالِه نتمتّـع
نرعَى بأمن فى الرُّبا ونذيرُنا ... مترقّبٌ لحـدوثِ ما يُتـوقّع
وبذاك نقضى عمرَنا فى راحة ... ماللبـلايا فى ذُرَانا مطلع
فاذا رَضيتَ بعيشنا وبمِلكِنا ... فادخل حِمانا إنذاك أوسع
فأجابهم إنى رضيتُ بعيشكم ... وبذلك الحكم المقدَّس أقنع
فأتتْ تهنِّئُه الأَرانبُ كلُّها ... ممـدودةً للشكر منها الأذرع
لكنَّه لما توطَّنَ بينها ... وحوَى الجميعَ على بساطٍ مجْمَعُ
وخَزَتْ(١) رقيقَ جسومهم من جلده ... إبَرٌ ضِخَامٌ كالأسـنّة شُرَّع
وجلودها مثلُ الحـريرِ نواعم ... بأرقَّ من وَبَرِ النسيج تَصدَّع
فأَتَوْا وقالوا قد أسأتَ جِوارنا ... فارحلْ فما لك فى حمانا موضع
قد ساءَنَا شوكٌ بظهرِك جارحٌ ... أنّى نلامِسـه ففيـه موجِـع
فأجابها إنى خلقتُ بصـورة ... يؤذَى بها جارِى فماذا أصنع
كل امرئٍ متصرِّفٌ بطباعه ... ليس امرؤٌ إلَّا عَلَى ما يُطْبَع

(١) شاكت

أَصْغِ إلى الارشاد يا إنسانُ * يا غادرا كأنه الزَّمان
لاتقطعنّ هـــذه العجوزا * فقطعُها بالظلم لن يجوزا
دعْها لنا دارا وهاك العسَلا * وحبـذا الشُّهدُ اللذيذُ بدَلا
إن بعتَه أصبحتَ ذا يسار * وإن أكلتَـهُ فرزقٌ جار
فقال للنَّحْلِ ونِعْمَ الشُّورَى (١) * اذ كمَلْتِ لِي بأن أشـورا (٢)
ومن يبيعُ عاجلًا بآجل * والمرءُ مفتونٌ بحبِّ العاجل
وعاجزٌ من يترُكُ المـوجودا * فى وقتـه و يَنْشُـدُ المفقودا
فقالت الشُّهدُ ضمـانٌ أكبر * وهـو لديكَ كل يوم يُحضَر
فقـال إنى قانع بالبـدل * وراجع من أجله عن عملى
لاينتهِى للمرءِ فى الدنيا طاب * وليس يمشى المرءُ فى غير أرب

العظة الثـامنة والثلاثون

(القنفذ والأرانب)

قد فارقَ الأوطانَ يوما قُنفُذٌ * يبغى المعيشةَ حيث ضاق المربع
فأَتَى الأَرانبَ طالبـا لجـوارها * متوخيـا خضـراءَ فيهـا يرتَع
فحَنَتْ وما منعتْ وقالت مرحبا * عش كيف شئتَ فلست منا تَفزَعُ

(١) الاستشارة (٢) أى اجتنى العسل

العظة السابعـــة والثلاثون

(الشجرةُ القديمة والبستانى)

فى روضةِ الأزهارِ كانت شجره * شاختْ فلا تُثْمِرُ أدنى ثمره
فرامَ أن يحطِمَها البستانى * لكى تكونَ طُعمـة النيران
فجاءها صـيحةً بفـأس * أعدَّها لهـا بقلب قاسى
قالت له أنا أنا الكمَّثْرى * أنا التى بِهَا حِمَاكَ أثرى
أنا التى فى زمن الشـباب * كانَتْ عروسا غضَّةَ الإهاب
إن لم تكن لِمَرْمِى محترما * ورمتَ هذا الموتَ لى مخترما
فاصبر فإنى عن قريبٍ أعدمُ * والضربُ فى الميِّتِ قالوا يحرُمُ
قال وكيف أجدُ اصطبارا * وقـد منعتِ عَنِّىَ الثِّمَـارا
قد خُلِقَ الإنسانُ وَفْقَ الحال * لايذكرُ الذى مضَى بحـال
وما أردتُ حطمَكِ اختيارا * وإنمـا أردتُه اضـطرارَا
وكانت البـلابلُ الشـجيّه * من فوقها تَسْتَمِع القَضيّه
قالت له عن قطعها كُفَّ اليدا * واستبدلَنْ تغريدنا مردَّدا
فلم تُفِـدْ أقوالُهـا لديه * وقام والمِعْـوَلُ فى يديه
فخرج النحلُ إليـه حالا * من جِذْعها مدافعـا وقالا

العظة السادســة والثــلاثون

(راعى البقرِ وحارسُ الصيد)

راعى أَبقـارٍ فى حَقْـل * لاقَى صـــيادا فى القفـرِ
فرآه يقـــول أَنا تَعِبٌ * بالعـــدْوعلى تيْس برِّى
وَلَكَمْ أَرميـه بسهامى * فينجّيـه طولُ العمـــرِ
قال الراعى شاهدتُ التيـــ*ـسَ قريبا من بَقَرِى يجرى
فاحرسْ بقـرى وأنا أرميـــ*ـه بسهم ينفـــذُ فى النحرِ
أَعطاه القوسَ وكلبَ الصيـــ*ـدِ وقال اصطدْ واغنم شكرى
فالكلبُ عدا فرِحا بالصيـــ*ـد وذاك الراعى فى الإثرْ
ورمَى الراعى فاصطاد الكلـــ*ـبَ وفرّ التيسُ من الذُّعْرِ
وعقيبَ الرمْىِ رأى ماكا * نَ فأَكبرَ عاقبةَ الأَمر
وارتدَّ لصاحبـــه فإذا * هو أَنوم من عقل الغِرّ
ورأى الأَبقارَ قد اختُطِفَتْ * من غيرِ خفيرٍ فى الفجـر
فمضَى لأَبيـــه فقـابلَهُ * بالضرب وبالغَ فى الزجر
ما شأنُك يا هـذا المغـرو * رُ وشأنُ الصيّادِ المُغْرِى
لولازمَ كُلُّ صـنعتَهُ * لنجا مالِى ونمـا وَفْرِى
لا تَدخُلْ فيما لا يَعْـنِى * لا تُســرِعْ فيما لا تَدْرِى

العظة الخامســـة والثلاثون

(الهر والجرذان)[1]

قد كان هرٌّ عند شخصٍ مُكرَمًا ... يُطْعِمُه من الطَعامِ الأدسما
لذلك الجرذانُ كانت تأمَنُ ... من شرّهِ بل وإليه تركَنُ
حتى إذا ما غرّها الغرُور ... ولعِبتْ فى نفسها الشُّرور
وأبصرتهُ ساعةً حزينا ... مستجمعَ الأطرافِ مستكينا
لم يَمْدُدِ الظُفْرَ ولا رام الظَفـر ... ولا يجفن العين نحوها نظر
فظَنَّتِ الجرذان أنّه رَتَعَدْ ... منها وأنّه من الخوف قعدْ
وعزَمَتْ فى نفسها أن تُهلكه * وهبَّ منها واحدٌ فأمسكه
وقال للجرذانِ هَيَّا فاهجُمُوا ... عليه حالا فالهجومُ مَغْنَم
قد شبِعنا من حبوبِ البُرّ * ونشتهى مَذاقَ لحم الهـــر
فاليومَ فيه ساعدتنا الفرصه ... إن فاتتِ الفرصة باتت غصّه
فحَملت طُرًّا عليه حَمْلَه ... عادت عليها خيبةً وذِلّه
لأنه استشاطَ منها غضبا * فقام للفتك بها ووثبا
حتى أبادَ عُصبةَ الجرذان ... فهلكَتْ بالجهل والطُغيان
من أَمِنَ الدهرَ أتى من مأمنه * لا تستثر ذا لُبَدٍ من مكمنه

(١) الجرذ ضرب من الفأر أعظم من اليربوع

وقال إنى لســـعيدُ النفسِ * بقتـلى اليومَ لهـذا النِّكْسِ (١)
فانتحب الكلب فقال الشبل * عَلَامَ تبكى والعقـابُ حِلُّ
قال بكيتُ من سرورى أن أرى * مِنَ الذى ربَّيتَه ماقد جرى
يا شبلُ قد صرتَ إلى الكمال * من العلوم ومن الخِلال (٢)
فعُـدْ إلى والدك المليك * لتســتَتِمَّ خُلُقَ المـلوك
وإنّما آباؤك الأســودُ * والشئُ نحوَ أصـلِهِ يعـود
وكلّ شئٍ لا حقٌّ بجوهره * أصـغَرُهُ متّصلٌ بأكبره

العظة الرابعـــة والثلاثون

(السمكة الطيارة)

من السمكِ الطيارِ واحدةٌ شَكَتْ * إلى الأُمِّ ما تخشاهُ وهى تعـومُ
إذا ما سمتْ فى الجوِّ فالنَّسر حائمٌ * وإن هى غاصت فالوحوشُ تحومُ
فكيف تُوَقِّى نفسَها شرَّ ميتـة * وفى وجهها فى الحالتين خصوم
فقالت لها الأمُّ الرحيمة يا ابنتى * إذا شئتِ ألّا تعـتريك همومُ
فلا تعْتلى فى الجو فالجو غائلٌ * ولا تَسْفُلى فى البحر فهو هضومُ
عليـكِ بأوساطِ الأمورِ فإنّهـا * طريقٌ إلى نهجِ الصواب قويمُ

(١) النكس الرجل الضعيف الدنىء الذى لا خير فيه (٢) الخصال

وكيف أخذُ الذئب للأغنام ... يُورِدها مـــوارِدَ الحِمام
والتمرُ كيف يصرعُ الكركدنا * ولم يكُنْ بقـــرنِهِ مُؤَيَّنا
والقرد بالتمليق بين الناس * يعيشُ فى عزّ وفى إيناس
والثور يُمضى عمرَه فى تعب * وغيرهُ فى لذّةٍ وطـــرَب
وكيف حقُّ الضعفاء يُسْلَبُ ... والاقوياءُ بالحقـوق تَلْعَبُ
ويُحْرَمُ الراجى ويُعطَى القانط * ويُبْعَدُ الأدنى ويُدنَى الشاحط (١)
فعند ذاك الشبلُ قال يا أبى * لقد فَهِمتُ شرحَ هذا المطلب
فهـــل ترى مليكَنا ذا علم ... وخِبرةٍ بكلّ هذا الظلم
قال له الكلبُ وكيف يدرِى ... والغِشُّ فاش فى ولاة الأمر
أما ترى المليكَ فى حجاب * بقصـــره مغلّق الأبواب
يُحْجَبُ عنه البائسُ الفقيرُ ... ومنه يدنو الموسرُ الكبير
وبعدهذا كلِه الشبلُ عَرِفْ ... كُنهَ الأمورِ وعلَى السرّ وقف
حتى غدا فى المُلْكِ واسعَ النظر * مكمَّلاً حميـــدَ خُبْرٍ وخَبَر
وجاء فى وقت من الأوقات * نِمْرٌ شديدُ البأس فى الغارات
ليقتـلَ الكلبَ ولا يبـالِى * بأنه مـــؤدِّب الرئبـال (٢)
فأقبـل الشـبلُ عليه عاديا * وافترسَ النمـرَ فخرَّ داميا

(١) بعيـــد (٢) الاســـد

فقام ثعلبٌ وقال المكرُ * عليه فى الملك يدورُ الأمرِ
وقال كاب إنما البسالة (١) * للملك الجبّار أدنى حاله
العـدل للسلطان منها أليق * وهو به من كلّ خلق أخلقُ
والغلظـةُ التى رآها الذئبُ * كافلةً للبركات كذبُ
والمكر أيضا عورةٌ وشُنعه * بين الورى ولو رأينا نفعه
فليدرس الحكمةَ يا مولايا * فإنها كاشفةُ البلايا
فإن تُرِدْ لشبلك الفلاحا * وأن يرى فى مُلكه النجاحا
فاغمسْهُ فى حبّ الرعايا والوطن * فهذه المنّةُ من خير المنن
فلبثَ الجميعُ سامعينا * وسلّموا للحُكْمِ خاضعينا
وامتدح المليكُ رأىَ الكلب * وقال أنت لابنى المربّى
فصار بالشبل من الغداة (٢) * يضربُ فى الربوة والفلاة
وقال قدرمتُ لك السياحه * فى الكون حتى تعرفَ اصطلاحه
وكلّما طاف به مكانا * أراه حال قومه عيانا
فعرفَ الخائفَ والمُخيفا * وعادِمَ العفةِ والعفيفا
وكيف يأكلُ الدجاجَ الثعلبُ * وكيف صار فى يديه الأرنبُ

(١) المهارة والشجاعة (٢) ما ارتفع من الارض

فطوى أخوه الكشحَ عنه وقال هل ... يقفُ الضعيفُ بموقف الجبّارِ
هـلّا حكيتَ الليثَ فى وثباته ... إن كنت تحكيه بلبس شِعارِ
والـدُّرّ لا يخفَى على طُـلّابه ... شـتّان بين الدُّرِ والأحجارِ
ثوبُ الرياءِ يَشِفُّ عمّا تحتَـه ... فإذا اكتسيتَ به فإنّك عارى

العظة الثالثة والثـلاثون

(تهذيبُ الأَسَدِ)

قد رزقَ اللهُ مليكَ الأُسْـد ... شِبلا به رجّى تمـامَ السعد
فجمع الجمـوعَ كى ينتخبا ... من بينها لشـبله مؤدّبا
وقال أبغى يا ذوى الألباب ... أن ينشأ الشبلُ على الآداب
فَيَنْقُـدَ الأُمورَ والأَحوالا ... ويعرفَ الحـروبَ والنزالا
فقام بيـدى النَّمِرُ الجـوابا ... وقال عنّى فاسمعوا الصـوابا
جئه بأُستاذٍ كسَيْفٍ عَضْبِ (٢) ... مغوارِ شوطٍ وشُجاع حربِ
فصـدّقَ الدبُّ كلامَ النّمر ... وقال إنه مصيبُ الفِكر
ولكن الأسـتاذَ ذا ثبات ... يدرى شؤون الأُسْدِ فى الغابات
غليظ جسمٍ وبطىء حركَه ... كيما يظنّ الخلقُ فيـه بركَه

(١) ولد الاسد (٢) قاطع

العظة الثـانية والثـــلاثون

(الافيالُ والآسادُ والكلبُ)

بين أفيـالٍ وآسادٍ جَرَتْ * حربٌ وكان شبوبُهـا كالنـار
ضَمِرتْ بها الأفيال حتى أنهـا * بِنُيُـوبِهَـا طالت على الأظفَارِ
وبمـا لعَرش المُلك فيـلٌ قادر * قد كان صـاحبَ حِكمـةٍ ووقار
واستبعد الآسادَ عن أوطانها * كى لا تعاودَه لأخذ الثـار
لمـا رأى الدنيا تنـكَّرَ حالُهَـا * كلبٌ مُصَرًّى (١) بينهـا متضـار (٢)
نادَى الرفاقَ وقال إنى راحل * ومفـارِقٌ رَهطى وعِزِّ جوارى
وأموت فى أرض غريبًا أهلُها * لا يعرفون جهلهم مقدارى
فالله حَسْبُ الظالمين وحسـبُهم * يومَ الحسـاب مِنَّى عذابُ النـار
وعقيبَ ذلك جاءَهُ جارٌ له * مستفهمًا عن هذه الأخبار
لِمَ أنت عن هَذى المواطنِ تنثنى * وتضلّ بين سَبَاسبٍ وقِفار
والنفى مقصورٌ على أُسد الشرى * هل أنتَ فى حكم الهَصُور الضارى
فأجابَه أوَ ما علمتَ بأننى * أسـد يَـزُرُّ لأُسْدَ يوم نِفـار

---

(١) ضراه به تضرية ألهجه به واغراه وعوده اياه فهو مُصَرًّى أى مغرى

(٢) متضار متظاهر بأنه ضار

أجبتها الحمامة إنّ هذا * كلامٌ بالأنى يئسوا خليق
خذى لك فى الحياة خليلَ صدق * فبالأحباب يتّسعُ المضيق
فقالت ليس فى الأحباب خيرٌ * وكلّ نحوَ غايته مَشوق
فقالتْ بل همومٌ عيشُ من لم * يعاونْه على البَلْوَى رفيق
خذى لك صاحبا من بيت مجد * فليس يخونُك الأصلُ العريق
وغُضّى الطرف إن لاحت عيوبٌ * من الرفقاء أو هُضِمَتْ حقوق
ومن يبغ الصديقَ بغير عيبٍ * سيبقَى الدهرَ ليس له صديقُ

العظة الحادية والثلاثون

(الثعلبُ المختفى)

قد كان فى ثعلبٍ حِذقٌ وكان له * علمٌ بأحوالِ دنياهُ وتجريبُ
فاختارهُ الملكُ العالى لخدمته * وهكذا القطنُ النحريرُ مطلوب
لكنه عاش فى فَقْرٍ لعفّته * والصادقُ الحرُّ مكروهٌ ومغلوب
حتى إذا ماوشى واشٍ لسيّده * به مَضَى وهومعزول ومكروب
وراحَ يشكو إلى جَدٍّ له هَرِمٍ * مما دَهَاهُ ودمعُ العين مسكوب
وقال بالغتَ فى نصح نصحتَ به * وكلّ شئ له لُطفٌ وأسلوب
إن اللبيبَ مع الدنيا يدور كما * تهوَى فيُصبِحُ فيها وهو محبوب
كم من نصوحٍ تحامَى الناسُ عشرَتَه * وذِى خِداعٍ له بالغِش تقريب

لذاك فى النهرِ أجيـلُ الطَّرْفا ٭ أرقبُ هـذا المـاءَ كى يَجِفَّـا
فالتفت النـاصحُ بارتيـاح ٭ وقال للفـتَى وللفـلّاح
كلا كما فيما تمنَّى أحمـقُ ٭ وفى الضلال مُوغِلٌ ومغـرقُ
لمـاء لا يجِفّ فى مَجْـراه ٭ ولا يتوبُ راكبٌ هواه

العظـــة الثلاثون

(البُومةُ والحمامةُ)

تشكَّتْ بُومةٌ أن لا حبيبٌ ٭ ولا بعـلٌ ولا خِلٌّ صـدوقُ
وقالت قد كبِرت وهُدّ جسمى ٭ وخانتنى المفاصـلُ والعـروق
فلا أحدٌ يزورُ عجـوزَ دهـرٍ ٭ وإن زاروا فإنى لا أطيق
فجاءتها الحمـائمُ باكياتٍ ٭ ومدمعُهـا بشـكواهـا طليق
وقالت قد سمعتُ فذاب قلبى ٭ ولى قلبٌ من الشكوى رقيـق
فمـالكِ والشَّـبيبةُ قـد تولت ٭ ولا ثمـرٌ ولا غصنٌ ورِيق
رضيتِ بالانفـراد فلا قريبٌ ٭ ولا زوجٌ ولا ولد شفيـق
أجابت فى الزواج أذًى وضُرٌّ ٭ وفى الأولادِ شـرٌّ أو عقـوق
وما قصد القريب سوى حِمامى (١) ٭ لنيـل الإرثِ فهو له طريق

(١) الموت

العظة الثامنة والعشرون

(الثعلبُ والليثُ والأرنبُ)

رأى ثعلبٌ فى عُرْضِ صحراءَ أرنبا * فهبَّ إليهِ واثبا خَلفَـــهُ يَعْدُو
فطاردهُ[1] فى الحال ليثٌ وصادَهُ * وكان نصيبَ الثعلبِ الجدُّ والكدُّ
فلمـا رآه فى يد الليث عافَـهُ * وحجةُ من لم يبلغ الأملَ الزهـدُ

العظـــة التاسعة والعشرون

(الفـــلاحُ والنهرُ)

قال فـتًى لأحدِ الأصحـابِ * إنى استخرتُ الله فى المتابِ
فقد سئمتُ كثرة الزَّلّات * وفَرْطَ الانهماك فى اللـذات
قالَ لهُ الصاحبُ دونك العمل * فكلّ من سارَ على الدرب وصل
إنّ كمالَ النفسِ فى الفضـيلَه * وعيبُهـا النُّقصانُ والرذيله
أصـغَى إلى النُّصح وما وعاه * وظـلَّ سـائرًا على هـــواه
ثم تمـاشـيَا بقـــربِ نَهْـر * وشاهَـدَا الميـاهَ فيه تجرِى
فصـادفا فى شـــطِّهِ فلّاحا * يرودُ[2] غـــير مُزْمِـــع بَرَاحا
يقـول أبتغى عُبـور النهـر * وليس من سـفينةٍ أو جسر

(١) حَمَل عليه (٢) يطلب

حتى إذا ماعظمتْ قُـواها * ودَرَجَت تحمِلُها رجـــلاها
لم تُرَفيما بينهـا من فَـرْق * والحبّ يُعمِى عن طريق الحق
و بينما الجميـــعُ فى الرياض * وكلّ إلفٍ عن أخيه راضى
وقد رأى الحسُّونُ هذا أهلَه * فى الروضِ لايخالفون شكلَه
والبعض منهم قال يابن جنسى * ما اخترتَ من قوم فدتك نفسى
إنك فى صُحبتهم مَغبـــون * فلا خَلَتْ من رأسِكَ العيون
أما ترى لونَهُـــمُ المصـفَرا * ولونَكَ المخـالِفَ المُحمـرا
إلى متى بالغَيّ والتَّـلاعُبِ * تَسْتَبْدِلُ الأَصْحَابَ بِالأَقَارِبِ
إنّا على البِعـاد والتفـــرّق * لَنلتقِى بالأصـل إن لم نلتق
ومن يكن يَصحَبُ غيرجنسِهِ * فجاهلٌ والله قـــدرَ نفسـه
فقـال قد صحبتُها طـويلا * فـــلم أجد لودِّها مَثيـــلا
فإن تكن أشكالُنا مختلفـه * فهـــذه قلوبُنا مؤتلفـــة
حاشاى بعد الودّ أن أكونا * لمن مُنِحْتُ ودَّه خؤونا
رُبَّ ابن عمّ ليسَ بابن عم * رُبَّ أخٍ لِى لم تـلده أمى

انظـرِ الجحر وأيقظْ صاحـــبِي * فهو مثـــلى فِى اشتياقٍ للّقـاء
فرأى الثعلبُ أن حانت لَهُ * فرصةٌ يغـنَمُ منهـا ما يشـاء
قال إنّى آكـلُ اثنـينِ وما * أَكْلُ صيدين وصيدٍ بســواء
فـــدهاهُ الكلبُ إذ أيقظـــه * وفَـرت أنيـابه منـــه الفِراء
وســقاه كأسَ مـوتٍ عاجلٍ * وشـفى الغُـلّةَ من تلك الدماء
كلّ من يحفِـرُ جُبًّا واقعٌ * فيـــه والجـانى لَهُ شرُّ الجزاء

العظة السـابعـــة والعشرون

(العُصفورُ الكاريةُ والحَسُّونُ)[1]

دسَّ فتًى من صادة الأطيار * بيضـةَ حسُّونٍ على (كَنَارِ)
فبقيتْ كبيضـــه فى العُشِ * وما درَى بأمرِ ذاك الغشِ
حتى انجلتْ وفرخُها فى التَّقفِ * فكان للأفراخ خير إلف
مابين أمٍّ تعتـنى ووالد * يعـــودُهـا بصـلةٍ وعائد
ويُطعِمُ الجميـــعَ بالـترتيب * ولِلعميـد أُسْـــوَةُ القريب
وكلّها على فِـــراشٍ وحد * مضطجعٌ كإخْـــوَةٍ لوالد

(١) عُصفور ذو الوان بحمرة وصفرة و بياض وسواد و زرقة وخضرة يسميه أهل الاندلس أبا الحسن والمصريون أبا زقايه

العظة الســادســة والعشرون

(السنجابُ والكلبُ والثعلبُ)

جمعَ السنجابَ والكلبَ معـا ... خالصُ الودِّ وصدقُ الأوفيـاء
خرجا صُبْحا يَسيحانِ ولم ... يأكُلا حتى أتى وقتُ المَسَـاء
فابتغى الإلفانِ مثوًى لهما ... هاتِهِ الليـلةَ فى ذاك الفضاء
فانتقى الكلبُ وِجارا[٢] غائرا ... واصطفَى السنجابُ غصنا ذا علاء
ثم حينَ الليـلُ أرخى سِترَه ... أقبل الثعلبُ مشهورَ الدَّهـاء
فرأى السنجابَ فى الغصن ولا ... يملكُ الوثبَ إليـه فى الهـواء
فسـعَى بالمكرِ كى يُـنْزِلَه ... قائـلا ياخيرَ كلِّ الأصـفياء
أنا أقلقـتك فاغفـر زَلَّـتى ... فَهْىَ عن حُبٍّ صحيح ووَلاء
كان أوصانى أبى فى صِغَـرى ... بمـراعاتى لكم عهدَ الإخاء
لك عنـدى حصـةٌ آيـلةٌ ... من تُراث عن أُناسٍ أقـرباء
فدَرَى السنجابُ ماينوى ولا ... تنفعُ الحِيـلةُ عنـد الأذكياء
قال فى الحـالِ انتظرنى إننـا ... سنقضِى العمر فى عيشِ الرخاء
غـير أنّى لى نديمٌ هـا هُنـا ... نائمٌ فى الجُحر من طولِ العناء

(١) دابة كالفأر جلدها من أعظم الفراء (٢) جحرا

تعطيهِ ما يشتهيه منها * حتى بدا فيه الاغترار
وتادَ بين الطيور عُجباً * وما عليها لهُ نفار
فبالغتْ أمُّه بنصح * لهُ وعنها به ازورار
تقول مهذرُبني واعلمْ * انّ طيورَ الفضا شرار
دعْ ذاك لهوَ واجتنبهُ * فالزهوُ من بعده الخَسار
يحبّبك الصيدُ ثم ترضى * صغارُه عنك والكبار
فلم يُفد نُصحُها بشيء * ولم يرُضْ خُلقَه اعتبار
وأطلقتْهُ فطار يوماً * وشطَّ عنها به المَزار
فازورَّ طير الأراك عنه * ونالهُ منهمُ احتقار
وقالَ منها لهُ غراب * جاءك من جهلك البَوار
واقتصَّ منه بنتف ريش * وما تأتّى له الفرار
فراحَ في حسرة وذل * مضطربا مالهُ قرار
وعادَ نحو الحِمى حزينا * ونفسه كأبها انكسار
من لم يُنبه والداه * أدّبه الليلُ والنهار

وهَـمَّ فى الحـال بلا أناةِ (١) * فحطَّمَ الشـكلَ مع المِـرآة
وصار يشكو نصَبًا من فعله * وما جنى عليـه غيرُ جهـله
فوقفت الأُمُّ وضمَّت صدرَه * وقبَّلتْ من الحَنانِ ثغْـرَه
قالت له ألستَ أنتَ البادى * وهل سِوَى نفسِك كان العادِى
أجابها أَجَلْ لقَدْ شرعتُ * فمـا له يصـنعُ ما صـنعتُ
قالت له لقد ركِبْتَ الوهما * وانمـا رأيت منـك الرسما
وذلك الشـكلُ الذى تأبَاه * كلّ الذى حريتَـهُ أجراه
الآن فانظرهُ وأنت مبتسِم * تجـدْه أيضا بالسرورِ يبتسم
فإن فعلت الخـير تَلْقَ خيرا * وإن فعلت الضـير تَلقَ ضيرا
فالمـرء مجزِىٌّ بكل مافعـل * إن الجزاءَ حقٌّ من جنس العمل

العظة الخامسة والعشرون

(الطـائر)

أنثَى من الطير بعدعُقْم * جاءت بفَرْخٍ والعُقْمُ عارُ
فبدَّلَتْ حزنهـا سرورا * وهكذا تَفرح الصِّـغار
كانت عليـه تغارُ حتى * تكادُ من نفسـها تغـار

(١) الحـــلم والروية

بعـد أن غرَّد الأغاريدَ حينا * كفَّ عنها وصدَّ بَعْدَ اقتضاب
فـدعاهُ الراعي وقال رُوَيْدًا * قطعُكَ الصوتَ لم يكن بصواب
هل لترك النشيد يا بلبـلَ الأفـــراحِ داعٍ جُدْلى بردِّ الجواب
قال مادامتِ الضفادعُ هذى * فى نَقيق فإنَّني فى اضْـطرَابِ
قال دَعْها تهذى وتهرِفُ جهلا * فهى ليست معدودةً فى الحساب
فامضِ فى شَدْوك الرقيق وغرِّدْ * لا يضرُّ السحابَ نَبْحُ الكلاب

العظة الرابعة والعشرون

(الغلامُ والمرآة)

قد شبَّ فى إحدى القُرى غُلامُ * لم تُعطِـهِ كمالَهُ الأيَّامُ
فنظر المـرآةَ وهو يخطـو * ولم يكن قبلاً رآها قطّ
فـزَاد حَـيْرَةً بمـرأى ذاتِهِ * لما رأتها العينُ فى مرآته
وحين أبدى ثغرُه ابتسامَه * صوَّرها الشكلُ الذى أمامه
فعاجلتْـه عند ذاك فـكره * كعادة الأطفال أخفتْ بِشره
فغيرتْ صـورتَه فى الحـال * وغادرته ضُحْكة الأطفـال
فـزادَ فى نفـورِهِ من شكلِهِ * لأنه قـلَّدهُ فى فعـله

فالظلم طبعٌ فى نفوس الناس ٭ والعدل خُلق فى بنى العباس
فغضب الوزيرُ ثم أمَرَا ٭ بهدْمه حتى أزالَ الأثرَا
وعندما جاء الخليفةَ الخبرْ ٭ تبدّلَ الصفاءُ منه بالكَدَر
وقال للوزير ماهذا الشطط ٭ كلُّ الذى فعلتَه عَيْنُ الغلط
أعِدْ إلى جارىَ ذاك المنزلا ٭ شِيمتُنا فى قومنا أن نعدلا
حتى يَرَى بعدِىَ كلُّ الناس ٭ أنّى حفظتُ الملكَ بالقسطاس
وتسمع الذكرى بعدلِ الثانى ٭ فى ملكه والذكرُ عُمْرٌ ثانى
على الفتى آثارُهُ تدُلّ ٭ بقدرها يُحقَر أو يُجَلّ

العظة الثالثة والعشرون

(البُلبلُ والراعى)

حَلَّ راعٍ يوماً بروض أريض ٭ ناضرِ الزهر ذى مياهٍ عِذاب
حولَ أشجاره الجداولُ تجرِى ٭ كخلاخيلَ فى كعوب الكعاب (١)
نَظَرَ البدرَ فى السماء جلياً ٭ لم يعارضه عارضٌ من سحاب
فأطال الجلوسَ ينظر بالفكـ ـرة آلاءَ ربّه الوهّاب
وإذا بُلبُلٌ على الأيْكِ يشدو ٭ يَمْلِكُ السامعين بالإعجاب

(١) الأبكار

العظة الثانية والعشرون

(عدلُ خلفاءِ الاسلام)

شَـيَّدَ فى زمانِهِ المأمونُ ... قصرًا أبانت حسنَهُ الفنونُ

لم يحكِهِ قصر من القصـور ... فى سالف الأيام والعُصور

وكان كوخٌ (١) بإزاء (٢) القصر ... كَكَلَفٍ (٣) يَشِينُ وجهَ البدر

لِحـائِكٍ (٤) من الورَى فقـير ... مُبتَهِـج بعيشِـهِ النضـير

خالٍ من الدُّيُونِ والمتاعب ... مقتنـع بقـلّةِ المكاسب

فأمر الخليفـةُ الـوزيرا ... يومًا إلى الحائكِ أن يسيرا

ليشترى الكوخَ من المسكين ... على رضًا بالثمنِ الثمين (٥)

فرفضَ الحـائكُ ذاك البيعا ... ولم يوافقـه عليـه طَـوعا

وقال إنى قانـع بمـالى ... مغتبط بحسنِ هـذى الحال (٦)

فمـنزلى لستُ غنـيًّا عنـهُ ... فكيف أَرْضَى بالخُرُوج منهُ

فيـه تُـوفّى والدى وإنّى ... وُلِدتُ فيـه فإليـكَ عنّى

مولاى لا يُرضيه هَدْم دارى ... ظُلْمًا وهتْكُ حُرْمَـةِ الجِوارِ

فإن ظلمتَنى شكوتُ حالى ... إليـه كى يُنصفَنى فى الحال

---

(١) عش (٢) جانب (٣) النقط السوداء فى سطح القمر (٤) ناسج
(٥) الغالى (٦) الغبطة تمنى مثل ماللغير والمراد النعمة

فاستشعر الخوفَ واهتزت فرائصُهُ * لمّا رنا حَوْلَه والليثُ غضبان
فـرقَّ قلبًا عَلَيـــه ثم قالَ له * عفوتُ عنك فلا تأخذْك أحزان
أراكَ من كلّ همّ قد خلوتَ فما * أفضى إلى مَرَح والدهرُ يقظان
قد نالَ حظَّك دونى كيف ذاك ولى * على وحوشِ بقاعِ الأرضِ سلطان
فقال دَعنى إلى غُصنى أطير وخُذ * منى الجوابَ بشرح فيهِ تبيان
فنالَ منـه الرِّضا وانسلَّ من يده * والقلبُ بالأمن بعد الخوف ملآن
فقالَ وهْو على الأغصانِ ينصحه * والنصح فى الخَلق إجمال وإحسان
إنى نزعتُ لباسَ الشرّ عن خُلقى * فما على الخلقِ يوماً منهُ طغيان
أعفو وأصفحُ عنهم خائفا وجِلا * برًّا وتقوى وبعضُ الخوفِ إيمان
فعشت فى فـرَحٍ لا شئَ يؤلمُنى * ولا يكدّرنى ما عشتُ حرمان
أقاسمُ العيشَ أهلى لستُ أمنعُهم * رِفدى وحسنَ الوفا منى وإن خانوا
أنامُ ملءَ عيونى عن عيوبهمُ * وأنت تبحثُ عنهم أينما كانوا
فصار عيشـك عيشـا كلُّه كدَرٌ * وصـار ربحك يَنمـو وهو نُقصان
أسعَى لنفسى وتسعَى للطعام وما * سيَّانِ نفس لها يُسْعَى وجُثمان
فانهَضْ إلى الروح واستكمِل فضائلَها * فالمـرء بالرُّوح لا بالجسم إنسـان

(١) نظـــر (٢) عفتى

فباعَهُ بأبخسِ الأثمـان * وهذه من شيمة الإنسان
فنُقِلَ الكلبُ لدار الشارى * وقلبُه الحزينُ فى انكسار
وبين جنبيه من الفِـراق * نار كوجد المُغْرَمِ المشتاق
حتى إذا ماطلعَ الصبـاح * وابتهجب بنُورِه الأرواح
أسرعَ يجـرى هائما متيَّما * يؤُمّ ذاك الصاحبَ المقدّما
قال له بائعُـهُ غضبـانا * إذهبْ فأنت ملكُ غيرى الآنا
وكان فى المنزلِ هِرٌّ هَرِم * فقال للكلب لِمَـاذَا الندم
ماأعجبَ الدهرَ ومن عجائبه * تقلُّبُ الإنسان فى قوالبـه
لاتخدَعِ النفس بمرأى الظاهر * فالله يجزِى المـرء بالسرائر
وارضَ بما قدّر فى الوجود * وقنِعْ إذا ماشئت بالموجود
لاخيرَ فى الناس على الإطلاق * فودّهم ضربٌ من النفاق

العظة الحادية والعشرون

(الليثُ والسِّنجابُ)

قد كان يلعبُ سنجابٌ على شجَرٍ * ويثبُ على كل غصن وهو جَذْلانُ
فأفلتت منـه رِجلٌ مَرَّةً فهوى * واصطكّ بالليثِ حين الليثُ وسنانُ (١)

(١) نعسان

كلّما صار قُربَهـا خلّصتْها * وَثَبَاتٌ منها تخطف البُروق
تترامى وتَنْهَبُ الأَرضَ حتى * كاد يُودِى بها جَفافُ العُروق
فرأت أرنبا فقالت أجِرْنى * ياصـديقى بحقّ ودّ وثيق
قال عُذرا فزوجتى فى مخاضٍ * وعلى الزوج كم لها من حقوق
فتولّت والكلب يقفو إلى أن * مَرَّ ثورٌ يقُربها فى الطريق
فشكت حالَها وقالت أجرنى * ياشديدَ القُوَى غَصَصْتُ بريقى
قال إنى نَوَى الرحيلَ ومالى * بعدما ذاب من محبٍّ شفيق
فرأت أن نَفْسَ النفس لكن * لاحظتها عنايةُ التـوفيق
فانبرى للعدُوِّ تيسانِ لمّـا * رأياها على أشـدّ الضـيق
نَجّياها من بعد أن صدّ عنها * كلُّ مستنجِدٍ وكلُّ رفيـق
ثم قالا لما دَعى كلَّ خـلٍّ * يَخدَعُ الناسَ بالكلام الرقيق
إصرِفِ النفس عن كثيرٍ من النا * سِ فما كلّ مَنْ تَرى بصديق

العظـــة العشرون

(الكلبُ والحرُّ)

كلبٌ أمينٌ عاشَ عند صاحبه * دهرًا وكان دائمًا بواجبه
فلم يَصُنْه بعـدَ تلك الحال * والمرءُ مفتونٌ بجمع المـال

وقد أخذتُ عن كلاب الدُّور ... تيقُّظى لعُقبةِ الأمور
فصرت شيخًا عاقلا حكيما ... بكلّ أحوال الورى عليما
عاشرتُ أقوامى على المناصحه ... عاملتُ من عاملتُ بالمسامحه
فنلتُ حُبًّا من جميع الناس ... ومُسْتُهم بالحلم والتسطاس
الأُسُّ من نتائج المصاعبِ ... وحجّةُ العقولِ فى التجاربِ

العطلة التاسعة عشرة

(الأرنبُ وأصحابُه والتيسانِ الجبليانِ)

قيل كانتْ من الأرانب أنثى * تبتغى صاحباً يُرَجَّى لضيقِ
وهُمُ الناسُ مابهم من حبيب * يومَ ضَيْمٍ ومابهم من صَدوق
تتلقى كلًّا بأهلًا وسهلا * وتلاقى كلًّا بوجهٍ طليق
أيّما أرنبٌ يمرُّ دعتْهُ * للقرى عندها بعُشْبٍ أنيقِ
وبماءٍ يُروى الأوام[1] قَراحٍ * راقَ حتى صَفا صفاءَ الرحيقِ
طوقتْ جيدَ كلِّ من صادفتْهُ * وامتلاكُ الأحرارِ بالتطويق
بَيْنَما فى الصَّباحِ كانتْ بجُحْرٍ * قَرَّةَ العينِ هاجها صوتُ بُوق
ساقها الخوفُ للمرارِ ففرّت * فاقتفاها بالعدْوِ كلُّ سَلُوقى[2]

(١) العطش (٢) كلب صيد

العظـــة الثـامنة عشرة

(العالم والمزارع)

قصـــةُ فلاحٍ حكيم فطِن ٭ مُحنَّـك يَدْرِى بسر الزمَنِ
تقصـــدُه الناسُ من البلاد ٭ فى طلب الحكمةِ والإرشاد
تراهُمُ لديهِ فى جلوسِهـــم ٭ كأنَّما الطـيرُ على رءُوسهم
وكان كلُّ جملة يقولها ٭ سُلافة تُسكرهم شَمولُها
وكلُّ إرشـــاد وكلُّ وعْظ ٭ يلعَبُ بالعقلِ لسِحرِ اللفظ
يَمَّمه فتًى من الأخيـــار ٭ قَدْ دَرس العلمَ بِلا اختبار
قال له عمن أخذتَ حكمه ٭ ومن تكونُ من رجال الأمه
أجاب ما اتخذتُ لى أستاذا ٭ ولا جعلتُ الكُتْبَ لى مَلاذا
بل حكمتى فى فكرتى المطبعة ٭ هـذبتُها بخـبْرةِ الطبيعـة
عين الفتى لعقـــله دليل ٭ وعقـلُه لذاته تكميل
وكم لنـا فى الحيوانِ الأعجم ٭ علم صحيحٌ للذى لم يعـلَمِ
عن الحمَام قد أخذتُ الألفَه ٭ فارتفعتْ بها شروطُ الكُلْفه
والنملُ قد أفادنى ادّخارا ٭ والثورُ قد أكسبنى اصطبارا
ورقّةُ الطبع من النّعاج ٭ ورأفةُ القلب من الدَّجاج

إنّ الأديبَ الحُرَّ حربُ زمانه * تُلْفيهِ فى الدنيا بغير نصير
وحياتُه فيها شـــقاءٌ دائم * وكذا الحياةُ متاعبُ النِّحرير
ماذنبُـــهُ إلاّ الكمالُ وأنه * فى الدهرِ لم يَسْمَحْ له بنظير
كُتِبَ الشقاءُ على الحكيم الفيلسو * ـفِ لعنةٍ فيـه وحسنِ ضَمِير
تُروِى حكايتُه النفوسَ حقائقا * تُنْبِى ولا ينبيك مثلُ خبير
قدعاش هذا الفيلسوفُ مهاجرا * لبلادِه ومفارقا للـــدُّور
حتى اعْتَدَى ظُلما عليـه قومُه * ونَفَوْهُ عن وَطنٍ بِدعوى زور
فنأى وشطَّ به النـوى متغربا * مستسلما لحوادث المقدور
فرأى طيورا فوق هرّ حَلَّقتْ * يَقْـرُنَهُ والهـرُّ مثلُ أسير
ويصفْنَـه بِجنَـايةٍ فى قومـه * تدعُـو إلى التحقيرِ والتشهير
فرثى الحكيمُ الفيلسوفُ لحالِه * فى ذُلِّه وجَنـاحِه المكسـور
وأقام يسألُه عن الذنب الذى * ألقـاهُ فى همٍّ وسوءِ مصير
فأجاب لا ذنبٌ علىَّ وإنّمـا * فضلى اقتضَى من دونِها تحقيرى
أنا فى الظلامِ أرى الخفىّ بناظرى * وهى التى لاتهتـدى فى النـور
لو كنت أشبِهُهَا وتُشبِهنى لَمـا * حقدَتْ ولكن فُقْتُهـا بكثير
ماضرّنى حسدُ اللئـامِ ولم يَزَلْ * ذُوالفضل يحسدُه ذَوُوالتقصير

رأى ثلاثةً من الغِلْمان * وراءها يجرُون فى البستان
جَرَوْا وكلٌّ مُولَعٌ بخَتْلها * لأنّها أغرتهم بشكلها
وأوقعوها فى شِراكِ الصائد * بحيلةٍ بعد عناءٍ زائد
وشدَّ ذا الرأسَ وذا الأوراكا * وأوردُوها الحتفَ والهلاكا
وشاهد الصرصُر هذا فاعتبر * وقال إن العُجْبَ آيةُ العِبر
وكلُّ مَن يظهرُ بين الناس * بالفضل كم فاسَى وكم يقاسى
أشهَدُ أنّ الاختفاءَ جُنّه (١) * من كلّ شرٍ والظهورُ جِنّه (٢)
وقد سمعتُ مثلا مشهورا * حُب الظهورِ يقصِمُ الظُّهورا

العظة السابعة عشرة

(الفيلسوفُ)

يدرى بسِرّ الناسِ كلُّ خبير * والناس كالأيام فى التغيير
فدَعِ النفوسَ المائلاتِ إلى الهوى * تسعَى كما شاءتْ يدُ التقدير
وإذا تشابهت الأمورُ على الورى * خفِيتْ عليهم حكمةُ التدبير
لاشىءَ أخفَى فى الضِّياءِ من الهُدَى * إن كنتَ عند الحق غيرَ بصير
هذا الذى ترك العِبادَ طرائقا * فى أمرها والأمرُ غيرُ يسير

(١) وقاية (٢) جنون

حتى إذا آنسا ماءً وقد كَرِبت * يَدُ المنيـــة للَّيثَين تغتـال

جَدًّا وحاول كلُّ سبقَ صاحبِـهِ * حتى استشاطا وساءت منهما الحال (١)

تصاولَا ثم كَلَّ العزم فاصطلحا * كما تصالح إثرَ الحـرب أبطـالُ

وبادرا الماءَ مزدادا أوارُهما (٢) * فكان ما حسبا ماءً هو الآل (٣)

الشرُّ طبعٌ ودنيـا المـرء قائدةٌ * إلى الدنيئاتِ والأهواءُ أهوال

العظة السادسة عشرة

(الصُّرصُر)

قد كان في روضٍ أنيقٍ صُرصُر * مختبئٌ في تُربة لا يَظْهَـر

رأى فَراشـةً بِهِ تطيرُ * من زَهرةٍ لِزَهرةٍ تسيرُ

وحيثما تختـالُ في البُستانِ * تسبي النهى بحسنِها الفتَّان

فحزنَ الصرصرُ لما شهدا * جمالَها وبات يبكي حَسَـدا

وقال فـرقٌ بينهـا وبيـني * لحُسْنِ عينِهـا وقبْـح عيني

وليسَ مثلي من ذوي القرائح * ولا أنا صاحبُ عقلٍ راجح

وليس لي في العالَمين ذِكْر * وعَلَّ عندهم وجودي نُكر

وبينما يهجسُ هذا الهاجسُ * في فكرِهِ وكلُّه وساوِسُ

---

(١) اغتاظا (٢) العطش (٣) السراب

فالآن أنعسُ ملءَ العينِ متّكلاً * ما دام يُرزَقُ يقظانٌ ووسنانُ
فلازمَ الكُوخَ[1] لم ينهض لرزقِ غدٍ * وباتَ وهوخليُّ البطنِ خمصانُ
وكلما مرَّ حينٌ غرَّهُ أملٌ * وكم بآمالِهِ يغترُّ إنسانُ
وشاهدتْ عينُهُ في نظرةٍ عرَضت * عُشَّ الطيورِ وفيه الصَّقرُ غضبانُ
يدعو ربيبتَه هُبِّي إلى عملٍ * تقضينَه فضياعُ الوقتِ خُسرانُ
إنّي أعينُ بنفسي كلَّ ذي وَهَنٍ * ولا أعينُ الكُسالى أينما كانوا
خلائقُ اللهِ أعوانُ النشيطِ وهم * على الفتى القاعدِ المحرومِ أعوانُ
وطارَ من بعدِ ما أدّى مواعظَ لا * يصوغُ أمثالَها قُسٌّ وسَحْبانُ
فأدرك الرجلُ الدرويشُ متعظا * أن التنسُّكَ دونَ السعيِ حِرْمانُ
لن يُرْزَقَ المرءُ عونا في مطالبِه * إلّا إذا ما اغتدى والسعيُ معوانُ
دعِ التكاسلَ في الخيراتِ تطلُبُها * فليس يَسْعَدُ بالخيراتِ كسلانُ

العظة الخامسة عشرة

(الأسدان)

قد التقى أسدا[2] قفرٍ على سغبٍ * لا ماءَ[3] ثَمَّ ولا فيءٌ وأدغالُ[4]
فنقّبا عن مياهٍ يرويان بها * صداهُما والصَّدى في الحرِّ قتّالُ

---

(١) العش (٢) الجوع (٣) هناك (٤) كثرة النبات

تسعَى لنيل العيشِ بالأعمال ... ما أضيقَ العيشَ على الرجال
أفاضلُ الرجالِ حرب الزمن * والدهر مُغْرًى بالأديب الفطِن
ومن تراه عاقلًا لبيبا ... يعيشُ طولَ عُمْرِهِ كئيبا
عَلَى الفتَى ذكاؤُه محسوبُ * وكلّ مايَجْرى لَهُ مكتوب

العظة الرابعة عشرة

(الدرويش والقُبَّرَة والصَّقْر)

قد ادَّعَى الزهدَ فى دنياهُ أنسان * وباتَ وهْوَ عَدُوُّ السَّعْى كسلان
وقد تزيَّا بزى الناسكين بلا ... نُسْك وأَضْحَى وَلِيًّا وهْوَ شيطان
وصار يَسْأَلُ فضلَ الناسِ تَقْذِفُهُ * إلى التسوُّل أمصارٌ وبُلدان
فذاتَ يوم رأَى فى العُشِ قُبَّرَةً * صغيرةً ما لها حَوْلٌ ولا شان
وأبصر الصَّقْرَ يسعَى بالنشاط وفى * منقارِهِ من صنوف الحبِّ ألوان
فصار يُطعِمُها حتى إذا عطشت * أتى بماءٍ زُلال وهو جَذلان (١)
فقال فى نفسه الدرويش معتبرا ... يارَبِّ أنت بكلّ الخلقِ رَحْمنُ
عَمَمْت يارَبِّ بالنُّعمى فلا أحدٌ * إلَّا وأَنتَ له فى الضيقِ مِعوان
جعلت فى قلب أقسى الطير مرحمةً * على الضعيف وهذا منك إحسان

(١) فسبحان

العظة الثـالثة عشرة

(الهِرّان)

هِرَّانِ فى بعضِ البيوتِ سَكَنَا * واختلفا نَحافَةً وسِمَنا
فكانتِ النعـمةُ للكبير * تُكْسِبه نُعومةَ الحرير
ينامُ ملءَ العين فى مهدِ الكسل * وكلما اشتاقَ إلى الأكلِ أكل
يجرى وراءَ الفأرِ آنًا يُمْسِكُهْ * مُدَاعِبًا وبَعْدَ حين يَتْرُكُهْ
فجاءه يومًا أخوه يشتكى * من سُوءِ حظٍّ فى زمانٍ مُهْلِك
يقول كم ألقى الأذَى والنِّقْمَهْ * إذا سعيتُ فى طِلابِ اللُّقمه
قد فاتنى المأكولُ والمشروبُ * وشـدّ ما أجهدنى اللُّغُوبُ
أجابَهُ ليكِنَّنِى بِسَبْكِى * أعيشُ مجدودَ(١) بغيرِ شاكِ
أجلسُ فى عشيرتى بأدَبى * مُدَاعِبًا ملاعبًا بذنَبى
أجمعُ من طعامهم ما دَلَّى * وذاك من بعضِ صنوفِ حِيَلِى
والفأرُ لا أنالُه بضيْرى * تركته لكلِّ هِرٍّ غيرى
لأننى أُغْمَرُ بالصِّلاتِ(٢) * من صِلَتِى الكرامَ فى الحياة
وأنت فى الدُّنيا كثيرُ الجِدّ * والجِدُّ فى زماننا لا يُجْدِى

(١) محظوظا غنيا (٢) العطيات (٣) الصلة المواددة

العظة الثانية عشرة

(الفلّاحان والسحابُ)

رأى السـحابةَ فلاحٌ فراحَ إلى ... أخيهِ وهو كئيبٌ كاسفُ البال

فقال قِفْ وتأمَّلْ فى السحاب تجِدْ * به السوادَ الذى يأتى بأهـوال

ففيـه للـزرع أتلافٌ ومنفعة ... يغلُو الرخيصُ به أو يرخُصُ الغالى

أجابه تلك أرزاقٌ مقسَّمَة ... والمـرءُ مابين إعزازٍ وإذلال

غدا يُفيض علينا فى مزارعِنا ... فيضًا من الماءِ بل فيضًا من المال

هو السحابُ أتى بالخير عن عجَل * ترى العِطاشُ به تحقيـقَ آمال

وطال بينهما ذاك الجـدالُ إلى ... أن قشَّع الريحُ تلك السُّحْبَ فى الحال

فقال لابنِ أبيه بعد ما أخذَت * تلك الغيومُ التى مرت بترحال

إنّ الّذِى فى ضمير الغيبِ مستترٌ ... فلا يفيـدُك فيـه كثرةُ القال

دع المقادير تجـرى فى أعنّتِها ... ولا تبيتَنَّ إلّا خالِىَ البـال

ما بين طَـرْفةِ عين وانتباهتِهـا ... يُغَـيِّرُ اللهُ من حالٍ إلى حال

وكان راعيها يغنى طَـــرَبْ ... فى ظلِّ أغصانٍ تهزُّها الصَّبا
قال بلا شـكٍّ وعن قريب ... أرَى القطيعَ مَغنما للـذِّيب
وجاءَ ذئبٌ قاصدا عُدْوانا ... فقام كلبٌ وحمَى الخِرْفانا
وهبّ كلبٌ غيرهُ سَـــريعا ... يَدْرأ من يهدّدُ القطيعا
فدُهش الملْك وقال عَجَب ... رعيـةٌ غُفْلٌ وراعٍ طَـرِب
يأيها الراعِى أتَثْوِى[1] لاهِيا ... بينَ الخطوب تُنْشِدُ الأغانيا
فقـال يامولاىَ كلُّ حازِم ... من الوُلاةِ فى هناءٍ دائم
إنى انتقيتُ أصدقَ العُمَّال ... لِكلِّ أعمالى فقـرَّبانى
أخذتُهم على الأعادى حِزْبا ... من خَشِى الذئبَ أعَدَّ كَلْبا

العظة الحـــادية عشـــرة

(الحَمَلُ[2] والذئبُ والليثُ)

حَمَلٌ أبصرَ ذئبا فى الفَـلا ... ورأَى الشرَّ بَدَا من مُقَـلِه
فاعترتْه رجفةٌ من خَوفِه ... وتَمَشَّى حائرًا فى خَبَـلِه
فاحتمَى باللِيثِ كى يَحفظَه ... ورأى فى الليثِ أقصَى أملِه
فأتاهُ الحتفُ من مأمـلِه ... وانقضَى مايرتجِى من أجَلِه
رُبَّ من ترْجُو بِهِ دفعَ الأذَى ... عنكَ يأتيكَ الأذَى من قِبَلِه

(١) ثوى يثوى أقام (٢) الحمل بفتحتين ولد الضائنة فى السنة الأولى وجمع حملان

العظة العاشرة

(الملكُ والراعيَان)

بَعْضُ الملوك مُلْكُهُ قد ارتبك ... فصار يشكُو ما جرَى به الفلك

إذا أَرادَ الخيرَ للرَّعايا ... لم تأتِه منهم سوى الرزايا

وإن يُرِدْ سَلْمًا يلاقِى حَرْبا ... وان يُرِدْ سَهْلا يقابِلْ صَعْبا

وبينما ينظُرُ فى البِقاع ... إذا بأَغنام يليها رَاعى

تمشِى بهاتيكَ الرُّبا حَيارى ... كأنها من جوعِها سُكارى

وهْوَ وحِيدٌ مالُهُ مُعين ... فى قفرة ليس بها قطين

وكلما سارَ رأى الذئابا ... تأخُذ منه الغَنَمَ اغتصابا

فعند ما عاينَهُ المليك ... قال إذَنْ لى فى الورَى شريكُ

إن الرُّعاة كالملوكِ تعبا ... لم يبْلُغوا من الزمانِ أَربا

الهمُّ فى الدنيا بلا نزاع ... سيَّانِ فيه ملكٌ وراع

وبعدَ أن مَرَّ زمانٌ قِدَمَا ... أرضًا رأى فيها لِرَاعٍ غنَمَا

وهذه الأرضُ من الربيع ... قد كُسِيت بالسندُسِ البديع

والشاءُ فيها آمناتٌ تَرْتَعُ ... مع النَّتاجِ لا ترَى ما يُفْزِع

بطيئةُ المشى ثِقالُ الجسْمِ ... لِما عليها من كثيرِ الشحم

فأحضر الكتبَ لاعلمٌ لديه سوى * أنّ الكتابَ خفيفٌ أو به ثِقل
وصار يَحْضرُ أهلُ العِلم ساحتَهُ * على موائدَ فيها السَّمْنُ والعسل
ومِنْ عوارِفِهِ لامِنْ معارِفِه * صارت تُصَبُّ على راحاتِهِ القُبَلُ
ولا معارضَ منهم إنْ بدا خطأٌ * ولا مُجادِلَ فيهم إن بدا خطَلُ
ويَرجعون إليه فى العلوم وما * لَدَيْهِ من كأسِها نَهْلٌ(١) ولا عَلَلُ(٢)
و بالتمَلُّق قالوا لم نجِد أحدًا * جاراك فى العلم حتى النخبةُ الأوَل
فصار يَعْجَبُ كيف المالُ أبلَغَهُ * تلك المكانةَ والجُهّالُ لاتصِلُ
وأبصرت عينهُ إذذاك وحشَ فلاً * كلُّ الطيورِ له تسعَى وتحتفِل
تشدو بأصواتها والوحشُ يَسْمَعُها * بلذّةٍ وهو من تغريدِها ثمِل
إذا أجادتْ أمال الرأس مُضْطَرِبا * أولم تُجِدْ كان منه الرأسُ يعتدِل
حالٌ رأى الجاهلُ المثرى بها عجبا * وحادثٌ رِيعَ منه ذلك الرجُل
فقال كيفَ طيورُ الجوِّ يرأسُها * وحشٌ و يرهَقُها حُكْمٌ فتمتثِل
فقيل ذاك لأن الوحش يُطْعِمُها * مما يَصيدُ وما من طبعِه البَخَل
من أجْل ذاك أجلُّوه ولستَ ترى * بين البريّةِ حُبًّا ماله عِلَلُ
أُنْظُرْ لنفسك أسديت الصنيعَ إلى * قوم فصرت وأنت السيدُ البطل
والناسُ من يلق خيراً قائلون له * ما يشتَهِى ولأُمِّ المخطِئِ الهَبَلُ

(١) النهل الشرب الأول و بابه طرب (٢) الشرب الثانى يقال علل بعد نهل

كان يُزْرِى بشَدْوِها إن تغنّتْ * بأغانى الأشْـواقِ والأشجان
كلما أطربت تلقّى غِناها * بِصَـفِيرٍ يُصِمُّ للآذان
وتمادَى على الغُرورِ لجهْلٍ * جاءهُ من وساوِسِ الشيْطانِ
فأنتْـهُ الطيور بعـد ائْتِمارٍ * قُلْ يا مُنْفَرِدَ الطيورِ الحِسَان
قد مَلِلْنا منك الصفيرَ وملْنا * لنشـيدٍ يُزْرِى بعَزْفِ القِيان
فاذا كنتَ فى الغِناءِ مُجيـدًا * فتفضلْ ببعضِ تلك الأغانى
نأخذُ الفنَّ عنك صوتا فصوتا * مثنياتٍ عليك فى الأفْنَان
فعراهُ من أمْرِهِنَّ ارتبـاكٌ * ورأى الحقَّ غالبَ البُهْتان
قال منّى يحلو الصفيرُ وأمّا * غيرُ هذا فليْسَ فى الإمكان
قالت الطـير للحقيقة جئْنـا * أىّ دَعْوى صحَّتْ بِلا بُرهان
أظننتَ الأوهامَ تُغْنيكَ شَيئًا * عند ما تجلى شموسُ العِيان
كلُّ مَنْ يدَّعى بمـا ليس فيه * كذَّبتْهُ شواهدُ الامتحان

العطلة التاسعة

(وحشُ الجبلِ والطيورُ)

حِكَايةٌ عن غَنِيٍّ مَالَهُ عَمَلُ * حُبُّ التظاهرِ فى الدنيا له شُغُلُ
بَدا له أنَّ دعوى العلمِ رائجةٌ * منه إذا باتَ للآدابِ ينتحِلُ

إذا بنحـــلةٍ تدانَتْ منهـا * وقـد تلاهتِ الفتاة عَنْهـا
حَطَّتْ على مَبْسِمِها النضير * ولَسَـــعَتْها لسعةَ السَّـــعِير
فأَعْولتْ واستصرختْ من الألم * فجاءَها بسرعةٍ كلُّ الحَـدم
فأَخذُوا النحلةَ للعِقـابِ * بلا سُـؤَالٍ وبلا جـواب
فقـالت النحلةُ يا أصحـابُ * ليس لمثـلى ينبغى العِقابُ
رأيت فى مبسِمِها آحمـرَارا * ظننته فى ثغـرها أزْهَارا
وليسَ بين رِيقها وشَهْدِى * فرقٌ فكيف لا أراه وِرْدِى
فأَطربَ الجوابُ تلك العَذْرَا * وعندَها قالت قبِلتُ العُذرا
سامَحْتُها فى لسعِها الخفيِ * كرامةً لقولها اللطيف
فانظرْ إلى حلاوةِ اللِّسَانِ * والسحرِ فى المنطق والبيَان
فَرُبَّ لفظةٍ أَفادتْ نعمـــه * ورُبَّ لفظـةٍ أَتتْ بنِقْمَه

العظة الثـامنـــة

(البَبَّغَـاء)

فرّ من أَمْرِه إلى بُسـتانِ * بَبَّغـا كان زينة للجِنَان
فَرَّ من نِعْمَـةٍ وأَمْنٍ حَنَاناً * واشتياقا لرؤيةِ الأَوطَان
وادَّعَى الفنَّ فى الطيور فخالَتْ * أَنَّه ربُّ صـنعةِ الألحان

نَافِشَ الرِّيشِ بَاسِطَ العُرفِ كِبْرًا * ثَانِي العِطْفِ مُعْجَبًا مُخْتَالا
عَبَّ من خَمْرَةِ الغُرورِ فَأَضْحَى * بَيْنَ جَمْعِ الدَّجَاجِ يُبْدِي الدَّلالا
ثُمَّ وَافَى نَسْـــرٌ فَخَطَّ عليـه * واحتواه بِمِخْلَبَيْـــه وَشَالا
ورآه المهْـزُومُ فى مِنْسَرِ النَّســـرِ فَأَبْدَى سُرُورَهُ واســتَطَالا
ومضَى يملأُ الجهاتِ صِيـاحـ * ـا وأَقامتْ له الدَّجاجُ احتفالا
باتَ ذاك الضعيفُ فيها زعيمًا * حينَ وَلَّى حكمُ القوِيِّ وزالا
نافذًا فى الدَّجَاجِ أَمرًا ونهيًـا * بَطَلَ القومِ حيث لا أَبْطالا
وإذا ما خلا الجبانُ بأَرضٍ * طَلَبَ الطعنَ وَحْدَهُ والنِّزَالا

العظة السـابعة

(الفتاةُ والنحلةُ)

فتـاةُ حُسْنٍ ذاتُ دَلٍّ يَبْهَرُ * كانتْ على كلِّ الحِسانِ تَفْخَرُ
أَكبرُ شىءٍ شاغلٍ نُهَـادها * أَنْ تَخدُمَ الحُسْنَ الذى حلَّاها
تَلبَسُ فى المَسَاءِ ما لم تَلبَسِ * وقتَ الصَّباحِ من ثيابِ السُّنْدُسِ
إذا مشت فمِشْيَةُ اختيالِ * لِسُكْرِها من خمرةِ الدَّلالِ
تمضى وتثنى إلى المِـرْآةِ * فى الساعةِ المرَّةَ والمـرّاتِ
وبينما تلكَ الفتـاةُ تنظـرُ * فيها وقد رقَّتْ وراقَ المنظرُ

يا حارِمَ النفسِ لجمع مالِ * تُفنيه وُرَّاثٌ من الجُهَّالِ
أيجمعُ المالَ امرؤٌ يموتُ * ومالَه فى المالِ إلا القُوت
إن قلتَ إنى جامع للخَلَف * كم خَلَفٍ يُقبَرُ قبلَ السَّلَف
أوقلتَ أخشَى من صروف الفَقْرِ * مَن ذا الذى يأمنُ شَرَّ الدهرِ
ما أقطعَ الآجالَ للآمالِ * وأسرعَ الآمالَ فى الآجالِ
قد كتبَ اللهُ على الحريص * أن يتركَ الأموالَ لِلُّصوص
يعيشُ بالتقتيرِ فى دنياهُ * وعن غنًى يُسأَلُ فى أُخْراهُ
ماضَرَّ من يَبْخَلُ بالموجودِ * لَوِاشْتَرَى الحمدَ ببذْلِ الجودِ
فتِلْكَ حَقًّا حالةُ البخيلِ * فى ماله الكثيرِ والقليلِ
يدفعُ خَيْرَهُ بجلبِ ضيرِهِ * مَالُ البخيلِ دائمًا لغيرِهِ

العظة السادسة

(الديكان والنَّسْرُ)

قامَ ديكانِ يَطْلُبانِ قتالا * مِثْلَ لَيْثَيْنِ قُوَّةً وصِيالا
فانجلى النَّقْعُ والذى نالَ فيه * ظَفَرَ النَّصرِ للفاخرِ نالا
فتوارَى المهزُومُ فى رُكنِ عُشٍّ * كادَ يُخْفِى عنِ العيونِ الظِّلالا
وتعالَى المنصورُ فى الطَّيرِ حَتَّى * صارَ يَرْقَى الرُّبَا ويَعْلُو التِّلالا

تَعـالَ أحملْك فوق المَنْكِبَيْنِ إلى ... مطالب الرزق أبغيها وترشدُني
تَسْعَى بمسعاىَ أنى تبتغى وأرى ... بناظريْكَ فهيًّا يا أخى أعِنِ
عاونْ صـديقَك فى أمرٍ يُحاوِلُه ... فالحُرُّ للحرِّ معوانٌ على الزَّمَنِ

العظة الخامســـة

(البخيل وابنه)

حكايةٌ عن رَجُلٍ بَخِيلٍ * رَاضٍ مِنَ العيشـةِ بالقليلِ
إنْ أكلَ البيضةَ بعـد عام * قال دُجاجةٌ بلا عِظام
أسرفَ يومًا واشترى تفاحَا ... وقصَـدَ الدارَ به صَبَاحا
ووضعَ التفـاحَ فى الخِزَانه * وعَدَّهُ خوفًا من الخِيانَه
وكان كـلَّ لحظةٍ فثانيَه * يُعيدُ ذلك الحسابَ ثانيَـه
فيأكلُ المعطـوبَ والقبيحا ... ويترُكُ الطيِّبَ والصَّحيحا
فذاتَ يومٍ نَسِيَ المِفْتَاحا * فى بَابِ مُسْتَوْدَعِهِ وراحا
أبصَرَهُ ابنُـهُ فجاء يعجَلُ ... وقال للأصْحَابِ هَيَّا وكُلُوا
ولبِثَ الغـلامُ مَعْ أَصْحَابه * حتى أتَى الوالدُ من غِيـابِه
وقال مثـلى مالُهُ لا يُؤْكَلُ * ما بَالُكُمْ فى صُنعِكم لم تعقِلوا
أجابه ابنُـهُ أَبِى لاتَغضبِ ... فمـا أَكلتُ منه غيرَ الطيب

فما أجاورُ من وَعْرٍ سأُقْطَعُهُ ٭ ولا تجاورُ من سهلٍ ستُقْطَعُهُ

فَمضيا الشرطَ لمّا استحسناهُ معًا ٭ وراق فى عين هذا الغِرّ موقعُهُ

واصبح الليثُ مالاقاهُ يفرِسُهُ ٭ وأصبحَ الفيلُ مالاقاهُ يَصْرَعُهُ

ودَاوَمَا الفتكَ حتى لم يُقِمْ أحدٌ ٭ إلّا وصار خلاءً منه مرتَعُهُ

وبعد ذلك رامَ الفيلُ قسمَتَهُ ٭ فكان فى طلب التقسيم مَصْرَعُهُ

وقال فى نَزْعه والأمرُ مرتبِكٌ ٭ فيلًا من الحِكَمِ الغرّاءِ منبعُهُ

أوتيتُ ملكًا ولم أُحسِنْ سياسته ٭ كذا من لا يسوسُ الملكَ يُخلَعُهُ

العظة الرابعـــــة

(الأَعْمَى والمُقْعَدُ)

أَعْمَى توطَّنَ فى بعضِ من المُدُنِ ٭ وجارُهُ مُقْعَدٌ فى ذلكَ الوطَنِ

كِلاهُما يتمنّى المـوتَ معتقِدًا ٭ بأنه مِنَّـةٌ من أعظَمِ المِنَنِ

وبَيْنَمَا ذلكَ الأَعْمَى يسيرُ إلى ٭ وَجْهِ الكريم بِلَا هَادٍ ولا سكنِ

إذا به عثَرَتْ رِجْلَاهُ عن خطأ ٭ بذلك المقعَـد المحفوفِ بالمِحَنِ

قال الضريرُ وقد نادَاهُ صاحِبُـهُ ٭ ما كان هذا الشقا لو كنتَ تَصْحَبُنِى

فقالَ كيفَ وعنك الضَوْءُ محتجِبٌ ٭ والداءُ أعيَا مكانَ السعْى من بَدَنِى

قال الضريرُ ألَا لو كنتَ لى سندًا ٭ لَمَا أُصِبْنا بما نشكو من الإِحَنِ

فأماته جوعٌ غدا ... معه الغرام هو الغرامه
وقضى قتيل حيائه ... وبصوته حرم السلامه
أما الغراب فإن يجع ... قامت لصيحته القيامه
فلذاك ما من لحظة ... إلا وما أكله أمامه
هذا قبيح نعيقه ... في الدار بلغه مرامه
والبلبل الشادي الحسن ... نِ نشيده لاقى حمامه
سبحان من قسم الحظو ... ظ فلا عتاب ولا ملامه

العطة الثالثة

(الليث والفيل)

أراد ليثٌ هصورٌ أن يضمّ الى ... أملاكه ملك فيلٍ عزّ موضعه
ولم يشأ حربه كي لا تقوم بها ... عليه للفيل أنصارٌ تمنعه
أمضى إليه وزيرًا ثعلبًا فطنًا ... عند المهمّات يدعوه فينفعه
فأحضر الفيل في ركبٍ يبجّله ... وبالغ الليث في الإكرام يخدعه
وغرّه بعباراتٍ مموّهةٍ ... وفي اقتسام الأراضي بات يطمعه
وقال إني نويت الغزو فانوِ معي ... وما أصبنا إلينا كان مرجعه

العظة الاولى

(الطَّاوُس)

قد أَظْهَرَ الطَّاوُسُ إعْجابَهُ * واخْتَالَ بَيْنَ الوَرْدِ والآسِ
يَفْتَنُ النـاظرُ من شكْلِهِ * بُحُسْنِ رِيشِ الذَّيْلِ والراسِ
لكِنَّ عُصْفُورًا تصدَّى لَهُ * بالذَّمِّ فى صَحْبٍ وجُلَّاسِ
وعَابَ منه الساقَ فى عُرْيِها * عَنْ ثَوْبِ ريشٍ ناعمٍ كاسِ
فقامَ من حَوْلِهِمَا طائرٌ * يرمِيهِمَا بالمَنْطِقِ القَـاسِى
فَقَـالَ كلٌّ منكُمَا مُعْجَبٌ * وغافِلٌ عن عَيْبِـهِ ناسِ
لَوْ نَظَرَ النَّـاسُ إلى عَيْبِهِم * ما عَابَ إنسانٌ على الناسِ

العظة الثـانيـــة

(الغُرابُ والبُلْبُلُ)

سكنَ الغرابُ وبُلْبُـلٌ * دَارًا بِهَـا حَلَتِ الإقامَهْ
وكِلَاهُمَا قد ضَمَّـهُ * قَفَصُ الحَفَاوَةِ والكرامَهْ
لِلْبُلْبُـلِ التَّغْـرِيدُ مَا * أَحْلَى على النفسِ انسجَامَهْ
يَشْـدُو ويلعبُ بالقُـلُو * بِ وبالنُّهَى لَعِبَ المُدَامَهْ
ألهَى بنغمـةِ صـوته * أصحابَه فنسُوا طَعَـامَهْ

اهداء الكتاب

لجناب العالى عباس باشا حلمى الثانى خديو مصر

أَدَبٌ فى كِتَابِ وَعْظٍ جَلِيلٍ ... لَيْسَ فى بَابِهِ لَهُ مِنْ مَثِيلِ
حِكَمٌ كُلُّهُ ونُصْحٌ وأَمْثَا ... لٌ هُدًى يَهْتَدِى بِهَا كُلُّ جِيلِ
عَلَّمَ النَّاسَ كَيْفَ تَكْتَسِبُ الأَخْـ ... ـلَاقَ حُسْنًا وكَيْفَ حِفْظُ الجَمِيلِ
يَدْخُلُ الأُذْنَ غَيْرَ مُنْتَظِرِ الإِذْ ... نِ دُخُولَ الشِّفَاءِ جِسْمَ العَلِيلِ
قُلْ لِتَالِيهِ قد وَجَدْتَ بَدِيلاً ... مِنْ نَدِيمٍ مُسَامِرٍ وخَلِيلِ
ياعَزِيزَ البِلَادِ إِنَّ كِتَابِى ... مِلْكُ يُمْنَاكَ يامِلِيكَ النِّيلِ
إِنْ تُقَابِلْهُ بِالقَبُولِ يُقَابِلْ ... يَدَ هَـذا القَبُولِ بِالتَّقْبِيلِ
لا تَقِسْهُ إِلى نَدَى كَفِّكَ الجَزْ ... لِ ولا نَيْلِكَ الكَثِيرِ الجَلِيلِ
واغْتَفِرْ قِلَّةَ الهَدِيَّةِ مِنْهُ ... إِنَّ جَهْدَ المُقِلِّ غَيْرُ قَلِيلِ

تحيـــة الوزير الجليل

أحمد حشمت باشا ناظر المعارف العمومية المصرية

لِأَحْمَدَ فى دارِ المَعَارِفِ مَنْهَلٌ ... يَفِيضُ بِفَضْلٍ لَيْسَ يَبْلُغُهُ الحَمْدُ
أَعَادَ إِلَيْهَا المَجْدَ والعِلْمَ والحِجَا ... وأَثْبَتَ حَقًّا أَنَّهُ الرَّجُلُ الفَرْدُ
شَمَائِلُهُ العِقْدُ النَّظِيمُ بِجِيدِهَا ... وفى عُنُقِ الحَسْنَاءِ يَنْتَظِمُ العِقْدُ

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحـــة الكتاب

بَدأْتُ بِحَمْـدِ اللهِ نَظْمِي وَأَمْثَالِي ❊ وهيهاتَ يُحصِى نعمةَ اللهِ أَمثالى
وَأُهدِى صَلَاتى والسَّلامَ لأحمدٍ ❊ نبىّ الهدى غَوثى وغَيْثِى وآمالى
أَتَمّ صـلاةٍ يَنْشُرُ المسكَ عَرْفُها ❊ فيَعبَقُ رِيَّاها على الصَّحْب والآل
وبعـدُ فهذى حكمةٌ ومواعظٌ ❊ لتهذيب أَخلاقٍ وإصلاحِ أَحْوَال
بِهِنَّ مَعَانٍ كالعيونِ سَـواحِرٌ ❊ وألفاظُ درٍّ كُلُّ بَحْرٍ بهـا حالى
فَلَوْ وَهَبَ الرحمنُ للدَّهرِ مَسْمَعًا ❊ لَمَـالَ الى الإصغاءِ مُنشرِحَ البال
عنِ الطيرِ فى جو السماءِ أَخَذْتُها ❊ وَفى القفرِ عن ظَبْيٍ وذئبٍ وِرئبال
عَروسٌ تجلَّت للأحبةِ مَهْرُهَا ❊ رِضاهُمْ وما مَهْرُ الأَحبةِ بالغالى
لِخِدْمَةِ أَوطَانِى وإعلاءِ شأنِهـا ❊ صَرَفْتُ نفيسَ النظمِ والعُمْرِ والمالِ
وما أَرتجِى حُسْنَ الثَّناءِ مِنَ آمْرِئٍ ❊ فيَالَيْتَنِى أَنْجُو من القِيلِ والقـالِ

مقدمة الكتاب

أحمد الله الذى ضرب لأمثل خلقه . وأصلى وأسلم على نبيه الكامل فى خُلقه وخَلقه . سيدنا محمد القائل بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى فى الآفاق

(أما بعد) فهذا كتاب خدمت به نابتة الوطن المحبوب . وأجريت فيه الأمثال والحكم المأثورة ليأخذوا منها ما يربى نفوسهم ويقوم أخلاقهم ويطبعها على أصوب آراء المتقدمين

وقد التزمت أن أجعل مواعظ كتابى أقاصيص قريبة التناول واضحة المعنى سهلة النظم يقرءونها بلا ملل ويلتهون منها الى تلك الكلم الجوامع كأنها نهايات طبيعية لتلك المواضع العذبة المشرب

على أننى جريت السابقين من كتاب العرب وأدباء الغرب فجعلت حكم تلك العظات دائرة على ألسنة بعض الحيوانات المعروفة ليكون الاخبار بذلك أفكه والمواعظ ألبغ فى ضرب الأمثال وسرد الحكم

فان كنت قد وفقت الى ما يرضى أو بعض ما يرضى فذلك الآن فضل النهضة العلمية الحاضرة التى تردهى طليعتها بحضارة عصر خديو مصر (عباس باشا حلمى الثانى) ورجال وزارته السعيدية ووزير معارفها الجليل .

هذا وانى أسأل الله عز وجل أن ينفع بهذا الكتاب مطالعيه الألباء . وأن يجعله خدمة خالصة فى سبيل مصر العزيزة وأبنائها النجباء

(ابراهيم العرب)

كتاب

آداب العـــرب

(تابع) فهرس كتاب آداب العرب

	صحيفة
الحمر والمرآة	٥٥
المزارعان	٥٦
الرجل التائه فى الصحراء	٥٧
الدجاجة والثعلب	٥٧
البازى والحمام	٥٩
القاتل أباه	٦٠
طالب الرزق بالحرص	٦١
الكلب المذنب	٦١
الملك المشتغل بعلم الفلك	٦٢
دودة القز ودودة الحقل	٦٤
لاعب الميسر	٦٤
الهر البرى	٦٥
الحمار والطاوس	٦٦
الجرادة	٦٦
السرحان	٦٨
البلبل والامير	٦٨
البهلوان وعصاه	٦٩
الكركدن والجمل	٧٠
الفيل الابيض	٧١
الزنبور والنحلة	٧٢
الباحث والمقلد	٧٣
الورقاء والفرخ الذى ربته	٧٤
الغلام والنخلة	٧٥
الاتان والقيثارة	٧٥
اللبلابة والنجم	٧٦
نكران الجميل	٧٧
الشيخ وولده والعبيد	٧٨
الجواد والمهر	٧٩

	صحيفة
الفلاح والملك	٨٠
الحارث وزوجته والجحش	٨١
العمدة والمضارب	٨٣
الصياد والعصفور	٨٣
الوالد وولده	٨٣
الخادم بمولاه	٨٤
السائحان	٨٥
البومة والهر والاوزة والفار	٨٦
شكاة الدهر	٨٧
الجاهل المثرى	٨٨
الارنب وطير الشرشور	٨٩
محب المال	٩٠
البؤس	٩١
المغتر بالناس	٩٢
الكلب والنعجة	٩٣
الملك والملك	٩٤
محب الوحدة	٩٥
الكلب والعلف والحمار	٩٦
القناعة	٩٦
الهران المرائيان	٩٧
الجمل والحمار	٩٨
جامع المال	٩٩
الحياة	١٠٠
الحية ودودة الدم	١٠٢
الحرية	١٠٣
العصفور الحبشى والبلبل	١٠٥
خدمة المخلوق	١٠٦
الخاتمة	١٠٧

فهـــــرس

كتاب آداب العـــرب

	صحيفة
مقـدمة الكتاب	٢
فاتحة الكتاب	٣
اهداء الكتاب للجناب العالى عباس باشا حلمى الثانى خديو مصر ...	٤
تحية الوزير الجليل احمد حشمت باشا ناظر المعارف العمومية المصرية	٤
الطاوس	٥
الغراب والبلبل	٥
الليث والفيل	٦
الاعمى والمقعد	٧
البخيل وابنه	٨
الديكان والنسر	٩
الفتاة والنحلة	١٠
الببغاء...	١١
وحش الجبل والطيور	١٢
الملك والراعيان	١٤
الحمل والذئب والليث	١٥
الفلاحان والسحاب	١٦
الهران	١٧
الدرويش والقبرة والصقر... ...	١٨
الأسدان...	١٩
الصرصر	٢٠
الفيلسوف	٢١
العالم والمزارع	٢٣
الارنب وأصحابه والتيسان الجبليان	٢٤

	صحيفة
الكلب والهر	٢٥
الليث والسنجاب	٢٦
عدل خلفاء الاسلام	٢٨
البلبل والراعى	٢٩
الغلام والمرآة	٣٠
الطائر...	٣١
السنجاب والكلب والثعلب	٣٣
العصفور الكنارية والحسون ...	٣٤
الثعلب والليث والارنب	٣٦
الفلاح والنهر	٣٦
البومة والحمامة	٣٧
الثعلب المختفى	٣٨
الافيال والآساد والكلب... ...	٣٩
تهذيب الاسد	٤٠
السمكة الطيارة	٤٣
الهر والجرذان	٤٤
راعى البقر وحارس الصيد	٤٥
الشجرة القديمة والبستانى	٤٦
القنفذ والارانب	٤٧
القبرة والقمرية	٤٩
السمكة	٥٠
الجرذ والمبرد	٥١
الثور والحصان والحمار...	٥١
المعجب بآبائه	٥٣
الغرق والطوفان...	٥٣

PJ
7814
R3A63

نظارة المعارف العمومية

كتاب
آداب العرب

تأليف

ابراهيم بك العرب

قررت نظارة المعارف العمومية طبع هذا الكتاب على نفقتها
وتدريسه فى المدارس الابتدائية للبنين والبنات
وفى مدرسة المعلمات السنية ومدارس معلمى الكتاتيب

(حقوق الطبع محفوظة للنظارة)

المطبعة الأميرية بالقاهرة
١٩١٣

PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

PJ
7814
R3A63

al-'Arab, Ibrahim
[Adab al-'Arab]
Kitab Adab al-'Arab